جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥

● حلقة بالأزهر

في درس عملي من دروس الصنعة

مكتبتنا العربية

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
مليم
٤٠٠ فى وادى النيل
٤٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ لطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٠١٤

الجزء السادس ـ القاهرة فى غرة جمادى الآخرة ١٣٧٥ ـ ١٤ يناير ١٩٥٦ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليم فى مصر

موصل ردىء لروح الثورة

هكذا يقول الثائر الشاب الصانع كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فى مصر. وقد أصدر حكمه هذا على التعليم فى مصر بعد تجربة باشرها وراقب أعراضها، وبعد زيارات مفاجئة كان يقوم بها لمختلف المناطق والمدارس، لا ليقف على مدى الأخطاء والإهمال، فهذا من عمل المفتشين، بل ليعلم كيف تنفذ السياسة التعليمية التى ترسمها الوزارة، وإلى أى حد تستجيب المدارس للتوجيهات التى تتلقاها من حين الى آخر.

ولما قال وزير التربية والتعليم إن التعليم فى مصر موصل ردىء لروح الثورة، أعلن الحقيقة التى توصل هو اليها، كما يصف الطبيب أعراض المرض فى المريض الذى يتصدى لمعالجته. لكنه لم يذكر الأسباب التى نشأت عنها هذه الأعراض، ولعله ترك ذلك للمفكرين والباحثين، ليدلى كل واحد منهم برأيه من الزاوية التى ينظر منها.

وفى رأيى أن هذه المسألة يجب أن تعالج بوسائل أعمق من التوجيهات التى يشكو الوزير من ضعف الاستجابة لها، وبسياسة أعم وأوسع من السياسة التعليمية التى ترسمها الوزارة للمدارس والقائمين عليها بين الحين والحين وقلما يظهر أثرها فى مجال التنفيذ.

مكتبتنا العربية

وأول ما يجب أن تعالج به طريقة التعليم فى مصر ، أن يعلم المعلمون لماذا يعلمون والمتعلمون لماذا يتعلمون ، بعد أن اقتنعوا — أبا عن جد — منذ رسم دانلوب لوزارة المعارف خططها ، أن مدارس وزارة المعارف فتحت للذين يتعلمون فيها ليتخرجوا موظفين فى حكومة يشرف عليها الاستعمار . وكما كانت الحكومة تقتنى فى دواوينها ومصالحها آلات كاتبة توصى عليها من المصانع التى تصنعها ، فإنها كانت تقتنى موظفين كالآلات الكاتبة تتلقاهم من مصانع وزارة المعارف التى كانوا يسمونها مدارس . فهذه الأفواج من التلاميذ والطلبة الذين تموج بهم فصول المدارس المصرية والجامعات المصرية لم يتعودوا دخول المدارس والجامعات لتكون لهم معارف ومدارك وعقول تتجاوب مع الحق والخير ، وتستجيب لدعوة الحق والخير ، بل تعودوا أن يدخلوا هذه المعاهد ليحصلوا منها — بأية وسيلة من الوسائل — على شهادات تؤهلهم لطلب العيش من خزانة الدولة ، وعلى الدولة أن ترسم لنفسها خططها ، مهما كانت هذه الخطط ، والموظفون الحاصلون على تلك المؤهلات يقومون بنصيبهم من تنفيذ تلك الخطط ، كما تقوم الآلات الكاتبة بعملها إذا حركها محرك ، ثم تصمت وتسكن ما تركت على مكاتبها غير متصلة الأزرار بالأصابع التى تحركها .

كانت وظيفة معاهد التعليم فيما مضى تخريج هذا النوع من حملة الشهادات ، وكان طلاب التعليم يتعلمون على هذه النية ولهذه الغاية ، ولا يعرفون سببا لطلب العلم إلا هذا السبب . وهذه الطريقة — كما ترى — تقود المتعلمين والمتخرجين وأصحاب المؤهلات إلى أن يعيشوا لأنفسهم أولا وآخرا ، ولذلك تعلموا . وإن لهم كل العذر فى ذلك ، لأن سياسة التعليم فى مصر كانت قائمة على هذا الأساس .

ومن غير المعقول أن يكون ألوف المتعلمين والمتخرجين كلهم هكذا ، بل لا بد أن يكون فيهم من هم فى مستوى أعلى من ذلك ، غير أن الحكم يكون دائما على الأعم الأغلب ، والأعم الأغلب هو الذى نعرفه جميعا .

ولكن الحالة اليوم فى مصر غير الحالة التى كانت يوم رسم دانلوب تلك السياسة لمدارس الدولة . فقد كانت مصر أيام دانلوب أمة محتلة بالاستعمار ، وهى اليوم أمة تتكون لتستعمل معارفها ومواهبها وإمكانياتها فى النهوض إلى مستوى العزة والقوة . وفى مصر الآن من مدارس المرحلة الابتدائية أكثر من عدد التلاميذ الذين كانوا ينجحون فى امتحان الشهادة

مكتبتنا العربية

الابتدائية أيام دانلوب ، أى ان عندنا الآن مدرسة فى مقابل كل تلميذ كان يتم التعليم الابتدائى . وفى مصر الآن من مدارس المرحلة الثانوية ما يعادل عدد ما كان يومئذ من مدارس المرحلة الابتدائية . وصارت نسبة عدد الطلبة الجامعيين عندنا أعلى من نسبتهم فى أية أمة من أمم الأرض . فهل زدنا عدد المدارس ، وارتفعت عندنا نسبة الطلبة الجامعيين إلى هذا الحد ، لنحشر كل من يحصل شهادة فى وظيفة من وظائف الدولة ؟ وهل يتعلم المتعلمون ليكونوا كلهم موظفين ؟

كان فى مدينة السويس ـ مثلا ـ مدرسة ابتدائية واحدة أيام دانلوب ، وكان كل من يحصل منها على الشهادة الابتدائية يوظف فورا بوظيفة كتابية فى محافظة السويس . فهل بعد أن أصبح فى كل حى من أحياء السويس مدرسة ابتدائية ، تستطيع محافظة السويس أن تضمن فيها وظيفة كتابية لكل من يكمل دراسة المرحلة الابتدائية هناك ؟

إن ميزانية الجمهورية المصرية لن يكون فى طاقتها أن تعول هذا الجيش العظيم من الذين دخلوا المدارس والجامعات بالنية التى كان يدخل بها أسلافهم تلك المدارس ، وهى أن يحصلوا على المؤهل الذى يضمن لهم العيش فى الوظائف الحكومية . ولا أقول هذا لأصد الشباب عن أن يتعلموا ، ولكنى أقوله لتتساءل حكومتنا ، وليتساءل هؤلاء الشباب عند إقبالهم على المدارس والجامعات : لماذا يتعلمون ؟

نحن الآن فى ثورة ، والثورة تتناول الإصلاح فى جميع الميادين : الميادين الرسمية فى نطاقها الضيق ، والميادين الشعبية من اقتصادية وعمرانية وصناعية فى نطاقها الواسع . فالشباب يجب أن يتعلموا ليؤهلوا أنفسهم للاضطلاع بميادين النشاط الشعبى ، فتتولاه أيدى المتعلمين تعلما ملائما لميادين هذا النشاط ، بعد أن كان غير المتعلمين يتعثرون فى مجاراة الأغيار الذين أهلتهم مؤهلاتهم للفوز فى هذه الميادين .

يجب أن نتعلم العلم للعلم ، لا للوظائف . ويجب أن تتحول مدارسنا وجامعاتنا من معاهد لإعداد موظفين ، إلى معاهد لتخريج علماء يعيشون للعلم ومواصلة التزود منه والسهر عليه ، ليعيشوا بمعارفهم وكفاءتهم عيشة أكرم وأنفع . والذى يتعلم العلم للعلم يصبح العلم متعته ولذته الدائمة من المهد إلى اللحد . وهذا سبيل التخصص ، وسبيل التعمق ، وسبيل النبوغ . فيكون صاحبه مرجعا فى فنه لكل من يحتاج إلى ذلك الفن فى توسيع

مكتبتنا العربية

دائرة التقدم العلمى للحصول على ثمراته العملية فى النهضة التى نحن مقبلون عليها فى ثورتنا ، وفى تجددنا ، وفى الإصلاح الذى نتعاون عليه . وهذا الذى تعلم العلم للعلم حتى صار ذلك الرجل المتخصص المتعمق ، سيضن بعلمه عن أن يجعله سلعة تباع لغيره ، فيقوم هو باستغلال هذا العلم وتحويله إلى عمل منتج . وحتى لو أراد أن يجعل علمه فى خدمة غيره فأن أصحاب المصالح سيتزاحمون على الاتصال به ، وعلى إغرائه بالتعاون معهم ، فيعتبر فى وطنه رأسا مفكرا، بينما يكون غيره من المتعلمين للوظيفة أشبه بالآلة الكاتبة التى لا تتحرك إلا بأصابع من يحركها . وهذا النوع من متعلمى العلم للعلم هم الذين فيهم قابلية التجاوب ، فاذا تولوا الأعمال لوزارة التربية والتعليم أو لغيرها تجاوبوا معها وسابقوها فى تحقيق وسائل التقدم والإصلاح .

فالتعليم فى مصر يجب أن يتحول عن الطريق الذى رسمه دانلوب للمدارس المصرية من أدناها إلى أعلاها ، وأن نرسم لجميع معاهد العلم طريقا يساير روح الثورة ، فيعلم المقبلون على المدارس والجامعات لماذا يقبلون عليها ، ولماذا يتعلمون . بل يعلم المقبلون على المدارس والجامعات أن وظائف الحكومة لا تتسع لهم بعد اليوم ، وأن الذين تتسع الوظائف لهم هم الأسوأ حظا من الذين تعلموا للعلم حتى صاروا فيه من أهل التخصص والتعمق وساروا فى طريق النبوغ .

الثورة تهدف إلى تكوين مصر تكوينا جديدا قويا فى جميع ميادين النشاط . وهذه الميادين تحتاج إلى أيدى شباب حاذقين فيما يلزم لها من عمل منتج ، فالمدارس يجب أن توفر الكفاءة لذلك فى تلاميذها وطلابها ، والحصول على الكفاءة والحذق فى ذلك لا يكون إلا بأن يكون تعلم العلم للعلم ، وأن يكون طلب العلم والتزود منه والتوسع فيه من المهد إلى اللحد . فالعلاج يجب أن يكون من هذه الناحية ، وهو علاج أساسى إذا اضطلعت به الثورة حصل من ورائه التجاوب معها . وكان ذلك رأس الاصلاح وعموده وله ما بعده .

ويوم نعقد عزائمنا ـ حكومة وشعبا ـ على أن يكون تعلم العلم فى مصر لأجل العلم لا لأجل الوظائف ، سيكون تعديل مناهج التعليم فى مصر على هذا الأساس ، فننظم التعليم ومناهجه بدلالة حاجتنا إليه فى نهضتنا ومرافقنا ، وبدلالة ما نريده لمجتمعنا من اتجاه وتكوين ، وأسرع ما ينبغى لنا الالتفات إليه فى هذه الناحية إفهام الجامعات والقائمين

مكتبتنا العربية

عليها حقيقة رسالتنا العلمية لتلتزمها فى تكوين الشباب ، ولتعد لهم المعارف اللازمة لهم فى هذا التكوين .

لقد كان من المخجل ما نقلناه فى الجزء الماضى (ص ٥٧٣) من إجابات بعض خريجى الجامعة فى الامتحان الذى عقدته وزارة الخارجية لمائتين منهم عند ما أرادت تعيين ٨٩ ملحقا شابا ليكونوا دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، فكان فيهم من أجاب عن دول الجامعة العربية أنها تركيا وإيران ، وكان فيهم من أجاب عن عاصمة سوريا أنها عمان ، وكان فيهم من أجاب عن عاصمة مديرية البحيرة أنه لا يعرفها معتذرا بأنه لايسافر كثيرا إلى الريف ، وأصحاب هذه الإجابات كلهم يحملون الشهادات الجامعية ، وفيهم من قضى بعد الجامعة سنتين فى معهد عال . وقد تعددت الشكوى من أن مستوى التعليم الجامعى عندنا قد انحط إلى مستوى التعليم الثانوى ، لكننا بعد أن وقفنا على هذه الحقيقة المحزنة فى الامتحان الذى عقدته وزارة الخارجية للحصول من الجامعيين على دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، صرنا نرى من الظلم لمستوى التعليم الثانوى أن يوصم بما عليه خريج جامعة مصرية لا يعرف عاصمة مديرية البحيرة لأنه لا يسافر كثيرا إلى الريف ، والخريج الآخر لجامعة مصرية يقول إن دول الجامعة العربية تركيا وإيران .

إن هؤلاء نموذج للمتعلمين الذين يتعلمون لأجل الوظيفة لا لأجل العلم ، وأعترف أنا مع مراقبتى للصحف وإلمامى يوميا بما ينشر فيها بأنى لم أشعر بأن وزارة الخارجية دعت الجامعيين لهذا الامتحان . أما إخواننا الذين تعلموا لأجل الوظائف فكانوا أعلم منى بما يلزم لها ، وأكثر انتباها لما ينشر عنها ، ولذلك كانوا على استعداد للاشتراك فى الامتحان فى الوقت المحدد له . أما العلم نفسه بأبسط ما يلزم منه — لا لسفراء الجمهورية المصرية بل لأى تلميذ فى الابتدائى — فهذا ما لم يكن له عندهم كبير أهمية ، ولذلك تمكنوا من الحصول على أعلى الشهادات وهم فى الحالة التى وصفها الأستاذ حسين عزيز الوكيل الدائم لوزارة الخارجية عندما تحدث إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل فى هذا الخطب المضّ .

وإذا كانت الصناعة تدل على صانعها فنحن نجل أساتذة جامعاتنا عن أن نقول فيهم إن علم تلاميذهم رشفات من علمهم ، لكننا نغالط أنفسنا إذا تجاهلنا أن جامعاتنا والقائمين عليها لم يتفقوا بعد على تعيين الرسالة الجامعية التى تليق بالطبقة المتعلمة فى مصر ، وفيهم من إذا تعارض خبر فى صحيح البخارى عن حادث تاريخى فى صدر الإسلام مع رأى

مكتبتنا العربية

آفـــن لمستشرق سخيف ، لا يتردد فى نبذ ما صح فى صحيح البخارى من حقائق الوقائع التاريخية فى صدر الإسلام، لأن ذلك المستشرق السخيف سجل فى أحد كتبه رأيا يخالف ما صح عند الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . ولا ريب أن مثل هذا الموقف العلمى المخزى هو نتيجة من نتائج الاستعمار العقلى الذى لا نزال نعانى آثاره وعواقبه بسبب الثقافات الأجنبية التى آمن بها بعض أساتذة جامعاتنا لبعدهم عن الثقافة العربية الإسلامية التى لا يليق غيرها بجامعات البلاد العربية الإسلامية . ولو أن هؤلاء الإخوان الجامعيين الذين تقدموا لامتحان وزارة الخارجية تثقفوا ثقافة عربية إسلامية فى جامعاتهم ، وفى مدارسهم الثانوية قبلها ، وفى مدارسهم الابتدائية قبل ذلك ، لعرفوا جغرافية أوطانهم العربية والإسلامية وتاريخها ومآثرها وأوضاعها الحاضرة معرفة تبيض بها وجوههم ووجوه بلادهم فى كل موقف .

إن فى أساتذة جامعاتنا من يظنون أن رسالة الجامعة منحصرة فى تشكيك طلبتهم فى كل ما يتصل بالعروبة والإسلام . وفيهم من يظنون أن معنى التعليم الجامعى أن يتجرد المعلم والمتعلم من كل عاطفة حب للقومية التى هو منها ، وللملة التى ينتسب إليها . وفيهم من يظن أن الجهاد كل الجهاد فى أن يهدم ما أبقته الدراسة الثانوية فى قلوب الطلبة الجامعيين من بقايا إيمان بالحقائق القديمة الخالدة ، وحسن ظن بالثقافة التى تستمد حيويتها من كياننا العربى وتراثنا الإسلامى .

هذه النزغات قد توجد فى مدرسى سائر التوجيه من المرحلة الثانوية ، لكنها فاشية — ويا للأسف — باسراف وطغيان فى بعض الكليات النظرية من جامعاتنا ، ولا سيما الجامعة الأم القائمة فى الجيزة . ويوم كانت الدولة المصرية لا رسالة لها من الماضى إلى المستقبل لم تكن الشكوى من ذلك لتلقى آذانا تصغى لها ، أما اليوم ، وبعد أن حددنا طريقنا ، وآمنا بأن هذا الطريق لا بد له من رسالة منتزعة من صميم قوميتنا ، فقد آن لنا أن نعالج هذا الداء الدوى .

إن ما نحن فيه نتيجة لأننا لا نتعلم العلم لأجل العلم، وأن مدارسنا وجامعاتنا ليس لها رسالة قومية تؤمن بها .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

- ٣٦ -

(ا) امساك البخيل
(ب) وانفاق المرائى

(ا) « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ».

(ب) والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تمهيد :

بين الكمال والنقص تباين . فكلاهما على طرف من الآخر .

وقد اتصف الله بالكمال المطلق ، وتنزه عن النقص كيفما كان ، وكان من كماله — سبحانه — دعوته لعباده أن يتخلقوا بأخلاقه — كما ورد — وأن يتأسوا برسوله ، وأن تشريعه لنا قائم على التهذيب ، والتربية ، والإصلاح .

وفى كل ذلك صرف لنا عن النقائص وان هانت ، لأنها تناقض صفته الكريمة ، وتنأى بنا عن الكمال الإنسانى الذى ارتضاه لنا . . . . فما بالك إذا كانت نقيصة مبعثها التواء فى الغريزة ، أو هوان فى الكرامة ، وكان أثرها زراية للمرء بين قومه ، ووهنا فى بناء المجتمع ؟ ؟

١ — والبخل والرياء من أبغض ما سخط الله : وهما مما يجافى المروءة فى عرف الناس ، وينزل بالأنفس عن قدرها فى حساب الفطرة ، ويباعد بين القلوب ، ويقذف

مكتبتنا العربية

بالمرء بعيدا عن التخلق بأخلاق الله . . . فالبخيل والمرائى : وجودهما عدم فى المجتمع ، بل العدم خير للمجتمع من هذا الوجود .

إذ البخيل ببخله ، يحرض الناس على متابعته ، وقد يكون آمرا لغيره أن يحذو حذوه ، ليكونوا على صبغته ولونه ، فهو ـ بفعله و بقوله ـ مصدر العدوى ، وهو كاتم لفضل الله عليه ، ومتظاهر بالحرمان من عطائه ، ومحجم عن شكر ربه ، ومتخلف عن تقدير فضله ، فلم يهتد بما أسبغ الله عليه ، ولم يسد معروفا مما توفر لديه . . فهل يكون هذا من سمات الإيمان ، أو من مظاهر الإسلام ؟؟ . جواب ذلك فى آخر الآية « الذين يبخلون . . و يأمرون الناس بالبخل . . و يكتمون ما آتاهم الله من فضله . . . وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » إذ المعنى : الفاعلون لهذه القبائح ، المتخلقون بتلك النقائص ، يسلكون بعملهم هذا مسلك الكافرين بنعمة الله عليهم ، الناكصين عن دعوته إليهم ، وقد أعد الله لهؤلاء الكافرين عذابا مهينا : فيه إيلام موجع ، ومهانة فاضحة . . . وإذا كانوا فى دنياهم يرخصون أنفسهم بما رضوا لها من بخل وحرمان ، وكانوا يسرفون عليها فى الوزر ، بدعوتهم للناس أن يأخذوا بأخذهم ، ويحاكوهم فى رذائلهم ، فجزاؤهم حرمان من المثوبة ، وتشديد فى العقوبة .

ثم : ماهو البخل المذكور فى الآية ؟؟ أهو البخل بالمال وحده كما يشاع ؟؟ . الآية لم تقيد ، بل أطلقت لفظ البخل وكفى ، وفى هـذا الإطلاق متسع للبخل بالمال ، و بالعلم ، و بالإرشاد ، والبخل بالقول الحسن ، و بالعشرة الرحيمة ، و بالمؤازرة فى الخير العام ، و بالمعاونة فى النفع الخاص ، و بالتضامن فى دفع المكروه . فكل ذلك يسمى بخلا ، وكل ذلك مذموم ، ويشمله التهديد لاعتباره كفرا ، أو مقاربا للكفر .

قالوا : كان فى القوم الأولين أناس يبخلون و يمنعون الناس من الإحسان ، وأناس يعلمون الحق و يكتمونه ، كما صنع اليهود فى كتمانهم لما عرفوا من التوراة عن الرسول العربى « محمد صلوات الله عليه » فنزلت فيهم هذه الآية . . . ومعلوم أنها لا تكون خاصة بهم ، و إنما هى فيهم وفيمن على شاكلتهم ، فأنها نقائص لا تقف عند أصحابها الأولين ، ولا يقتصر شرها على من يحاكيهم من اللاحقين ، بل هى أمراض زمنية تتعدى الموبوئين بها إلى غيرهم من أهل الجيل ، وفى كل جيل ، فكان الزجر عنها حقا ، والوعيد عليها شديدا .

مكتبتنا العربية

(ب) وفى مقابلة البخلاء أناس ينفقون المال ، أو ينشرون العلم ، أو يصنعون الجميل : لا سخاء بالمال أو مروءة ، ولا حبا فى فضل العلم ، ولا شكرا لله على نعمة آتاهم إياها ، بل رياء ، وتظاهرا ، واجتلابا للثناء من الناس ، واستنهاضا إلى الإعجاب بهم والإكبار لهم . وإن كانت الآية ذكرت رياء المال وحده فلأنه أكثر ما يبدو به الرياء وأشد فتنة للناس ، والرياء كله تطاول على الله فى كبريائه الحق ، ومزاحمة لسلطانه فى استحقاق الثناء والحمد ، وهذا ينافى الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ولا يتفق مع الرغبة فى مرضاته ، أو الشعور بالجزاء الحسن على الفعل الحسن ، وبالعذاب الأليم على الفعل القبيح . . . وهذا غرور ينفثه الشيطان فى أتباعه ، ويذكيه فى نفوسهم إخوان السوء ، فهم دعاة فتنة ، وأنصار للشيطان وجنود ، والمرائى ينسلخ بريائه عن تواضع المتواضعين وخشية الخاشعين .

لذلك كان الوعيد على الرياء كالوعيد للبخلاء . . فكلتا النقيصتين مما يوحى به الشيطان « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » وهذا تسفيه لعقولهم جميعا ، ضرورة أن الفريقين من قبيل المتمردين على النعمة ، فهم ما بين شحيح يحبسها عن وجود الخير ، ومراء يبذلها غير مبتغ للخير .

وإذا كانت الآيات جمعت بينهما فى قرن واحد ، وسياق متشابه ، فوجه ذلك أن كلا منهما مشغول بنفسه ، غير ناظر إلى ما يريده بقومه ، والمحيط الذى يعيش فيه . فالبخيل بما لديه من مال ، أو علم ، أو مروءة : كأنه يقتطع نفسه من البيئة ليعيش فى عزلة عنها ، وهو مع هذا يستلب لنفسه منافع الاتصال بالناس ، والحياة بينهم ، والاستئناس بهم ، والهناءة فى ظل المجتمع ، ثم يكتنز ما لديه من وسائل النفع العام ، ولا يقابل فضلا بفضل ، وإنما يقابل معروفا بنكر ، ومن لم يشكر الناس على صنع ولم يتقدم إليهم بجميل لم يشكر الله فى شىء ، وإن ظن وخال .

وكذلك المرائى : ينفق ماله ، أو ينشر علمه ، أو يبذل فضله ، لغرض خاص من أغراضه ، وشهوة من شهواته : هى أن يكون فى مكانة من الإجلال والظهور يشذ بها عن مستواه ، ويشغل بها الناس لحسابه . وهذه نزعة من الأنانية لا تساعد على تمام الاتصال بالمجتمع ، ولا تدفع إلى واجب نحو دين أو وطن .

والإسلام يطلب إلى أهله أن يتضافروا فى تكوين مجتمعهم ، وأن يبذلوا جهودهم ومعوناتهم فى تنظيم صفوفهم ، وتقوية جيشهم ، لبناء دولتهم وإعزاز دينهم .

مكتبتنا العربية

والمرائى غير متجاوب مع دعوة الإسلام ، فهو والبخيل فى الشر سواء .

لهذا : جاءت الآية الثالثة تنكر عليهما إسلامهما المدخول . وتحث الفريقين على الإيمان الحق . « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما » .

يعنى : أن ما عليه البخلاء والمراءون ليس إيمانا حقا ، فأى ضرر يمسهم ، وأى خطر عليهم ، لو محصوا إيمانهم من الشوائب ، وأعمالهم من الزيف ، واتصلوا بالمجتمع من طريق رسمها لهم دينهم ، وارتجوا عند الله جزاء يرضيهم فى اليوم الآخر ؟ .

هل حسبوا أن الله لا يحيط بأعمالهم ، أو لا يجزيهم على صنيعهم ؟ لا ، فإن الله عليم بهم ، وهو حتما مجزئهم على الخير خيرا ، وعلى السوء سوءا ، لا ينقصهم حقا ، ولا يزيدهم شرا . سيحاسبهم حساب من لا ينسى ، ويجزيهم جزاء من لا يظلم .

« إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجرا عظيما » وحسبك بالذرة مثلا يضرب فى تقدير شىء ، وهى أقل ما يعرف من أشياء نحسها ، والقصد : تصوير الله للناس أن عدله فى حسابهم ، ومثوبتهم ، أو عذابهم ، لا يفلت منه أدنى عمل نتصوره « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

ومع هذا العدل الكامل فقد اقتضت رحمة الله بعباده إذا عذبهم ألا يزيدهم عما اكتسبوا ، وإذا أثابهم أن يضاعف لهم جزاء حسناتهم إلى عشر أمثالها أو إلى أكثر من ذلك مما لا يقدر قدره إلا هو « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » « والله يضاعف لمن يشاء » « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » « والله ذو الفضل العظيم » « ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها » « إن الله بالناس لرءوف رحيم » .

وليس هذا الوعد الكريم بعظيم فضله مدعاة الاتكال ، وإغراء بالعفو : لا وإنما هو لبيان جوده وعطائه إذا شاء أن يجود على من يستحق عطاءه .

فله عذاب مهين ، وعقاب شديد ، وحساب عسير . . فاللهم لا تلسنا عذابك ، ولا تشدد علينا حسابك ، وألهمنا رشدك ، وافتح لنا مع المتقين الصالحين بابك ، وأسبغ علينا فضلك وثوابك ، وعاملنا دائما بما أنت أهله ؛

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

السنة

خاتم النبيين

— ٣ —

المتنبئون — شر الدواب عند الله — مسيلمة الكذاب — الأسود العنسى — المختار الثقفى — الحارث بن سعيد — اسحاق الأخرس — أذناب تتلوى بعد قطع أرؤسها .

* * *

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين . (رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى)

* * *

قدمنا فى الجزأين السابقين من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، على أن الله تعالى ختم النبوة فضلا عن الرسالة ، بنبيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه — ما يقطع دابر الدجاجلة الأفاكين . من أولئك المتنبئين ؛ ثم وعدنا أن نمد هذا الجزء بمزيد من البيان والتفصيل .

ونرجو مع الوفاء بالوعد ، أن نكشف عن جانب من فضائح هؤلاء الكفرة الفجرة مدعى النبوة والرسالة ، ليأخذ الضعفاء حذرهم وأسلحتهم ، أن يقعوا فى شركهم ، وليزداد الأقوياء المؤمنون قوة وإيمانا .

مكتبتنا العربية

لا جرم أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولا جرم أن شر هؤلاء إجراما هم المتنبئون . « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

ولو كان عند هؤلاء مسكة من عقل ، أو ذرة من نور ، لعلموا أن دعوى النبوة أو تصديقها بعد خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، هو الجبال كل الجبال ، والنكال الذى ليس وراءه نكال ! ! وكفى به جرما وخبالا أنه اتهام لأحكم الحاكمين فى اختياره واصطفائه من يشاء من عباده « ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون »

* * *

ومن حكمة الحكيم العليم ، ورحمته بأمة خاتم النبيين ، أن أنبأه نبأ هؤلاء الدجاجلة قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، لتحذر فتنتهم ، وتتقى ضلالتهم ، وتعوذ به سبحانه من همزات الشياطين . روى الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وروى الترمذى وأبو داود عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان ، وإنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبى بعدى .

* * *

ولم يفارق النبى صلى الله عليه وسلم هذه الدنيا حتى صدق الله رسوله ما أوحى إليه ، فظهر نفر من هؤلاء الدجالين الذين ادعوا النبوة ، والتقت وساوسهم فى أثناء مرضه الأخير صلوات الله وسلامه عليه : منهم مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، والأسود العنسى صاحب صنعاء اليمن .

ومن خبر مسيلمة كما فى الصحيحين وغيرهما أنه قدم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ، وجعل يقول : إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته . قدمها فى بشر كثير من قومه بنى حنيفة ، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس ، وفى يده صلوات الله عليه قطعة جريد ، حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال : لو سألتنى هذه

مكتبتنا العربية

القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت يجيبك عنى ، ثم انصرف عنه . قال ابن عباس فسألت أبا هريرة عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت ، فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى : أحدهما العنسى ، والآخر مسيلمة .

ولم تظهر شوكة مسيلمة إلا فى عهد الصديق رضى الله عنه ، إذ جمع جموعا كثيرة ارتدوا على أعقابهم وتأهبوا لقتال الصحابة ! فجهز لهم الخليفة الأول جيشا بأمرة سيف الله خالد ، فقتل أصحاب الكذاب . . ثم كان الفتح بفصل هامة الكفر والضلال .

وممن أبلى فى فصل هذه الهامة وحشى قاتل أسد الله حمزة سيد الشهداء ! قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مسيلمة الكذاب ، قلت لأخرجن إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة ، قال فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان ، فاذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق (١) ثائر الرأس ، فرميته بحربتى فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه . قال ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

وكان وحشى — غفر الله له — بعد إسلامه ، والإسلام يجب ما قبله ، يرهب قتله حمزة على غرة فى غزوة أحد ! ويزيد فى رهبته وخوفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحب أن يراه ؛ لأن رؤيته كانت تثير فى نفسه الرحيمة مأساة عمه ، وفزعه على أحب الناس إليه ! ! لكن الله الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، وفق قاتل سيد الشهداء ، لأن يقاتل ألد الأعداء . .

* * *

وأما الأسود العنسى فقد خرج بصنعاء وادعى النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وغلب على عامله هناك : المهاجر بن أبى أمية ، وعظمت شوكته وحارب المسلمين وفتك

---

(١) الأورق من الإبل ما فى لونه بياض إلى سواد ، وهو من أطيب الإبل لحما لا سيرا .

مكتبتنا العربية

بهم ! ولم يزل يعيش فى الأرض مفسدا حتى أخـذه الله قبيل وفاة نبيه صلى الله عليـه وسلم أو يومها ، وأراح العالم من شره . .

* * *

ثم ظهر بعد العهد النبوى كذابون دجالون متنبئون ، منهم المختار بن أبى عبيد الثقفى ، وقد شهد عليه بدعوى النبوة والـكذب الصريح جماعة من أهل البيت . بل شهد عليه حديث مسلم فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى قصتها مع الحجاج وهى تقول له : « أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا ، فأما الـكذاب فرأيناه ، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه » فقام عنها ولم يراجعها . . والمبير : الجبار المهلك ، والمراد به هنا الحجاج بن يوسف الثقفى ، والمراد بالـكذاب : المختـار ابن أبى عبيد الثقفى ، وذلك باجماع العلماء كما قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم !

* * *

ومن أقبح أكاذيبه دعواه أن جبريل عليه السلام كان يأتيه بالوحى ! ومما ورد فى ذلك ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن رفاعة الغيسانى قال : دخلت على المختار فألقى إلىّ وسادة وقال لولا أن أخى جبرائيل ، قام عن هـذه — وأشار إلى أخرى عنـده — لألقيتها لك . . .

وقد يكون من العجب أن أباه أبا عبيد الثقفى كان رجلا صالحا ، واستشهد أيام عمر فى حرب المجوس ، وكذلك أخته صفية بنت أبى عبيد امرأة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، كانت امرأة صالحة ، وترجم لهـا ابن حبان فى الصادقين الثقات . . وأما المختار فأجمعوا على أنه رأس من رءوس الـكذب والضلال . . وقد أخـذه الله على يد مصعب ابن الزبير بالـكوفة سنة سبع وستين (١)

---

(١) انظر طرفا من أخباره فى شرح مسلم (باب فضل الصحابة وتحريم سبهم) وفى الإصابة لابن حجر ، وفى المنتقى من منهاج الاعتدال . بتحقيق السيد محب الدين الخطيب ، ثم فى كتاب « الدعاة » من المتألهين والمتنبئين والمتمهدين ، لصاحبه وجيه فارس الكيلانى

مكتبتنا العربية

ثم ظهر من بعد المختار دجالون متنبئون من هؤلاء الذين حدثنا عنهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم مثل الحارث بن سعيد الدمشقي، الذى ظهر فى أيام عبد الملك بن مروان، واغتر به خلق كثير إلى أن وقع فى قبضة عبد الملك فسجنه وقتله . . ومثل إسحق الأخرس الذى ظهر فى خلافة أبى العباس السفاح . . ومن أخباره أنه نشأ بالمغرب وتعلم القرآن، ولم يترك علما حتى أتقنه، ثم ادعى أنه أخرس تمهيدا لدعواه النبوة، ثم رحل إلى أصفهان ونزل بها عشر سنين، ثم زعم أن ملكين جاءاه بعد خلوة أربعين يوما فأيقظاه وغسلاه وسلما عليه بالنبوة . . فى نبأ ثقيل نقله كتاب « الدعاة » .

* * *

وآخر هؤلاء الأفاكين كلهم، وكلهم أعرق الناس ضلالا، وأسخفهم أقوالا، وأبعدهم عن العقل والفضل مجالا . . وقد قطع الله دابرهم، ووقى العالم شرورهم، ولم يبق من أخبارهم - عليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين - إلا نوادر وأحاديث تتفكه بها كتب الأدب والتاريخ، قصدا إلى الترويح والتسلية . . .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

* * *

لكن الحكيم العليم الذى يبلو عباده بالشر والخير فتنة، والذى جعل لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا - لا يزال يبتلى هذا الدين الحنيف وأهله بأرؤس من هؤلاء المخبلين، تتحرك ثم تقطع، ثم تبقى أذنابها تتلوى حينا على عمى وتخبط، إلى أن يتبعها الله أرؤسها بأيدى أولى بأس من عباده .

وميقات حديثنا الختامى عن هؤلاء الأذناب هو الجزء القادم بمشيئة الله تعالى وعونه وتوفيقه .

أ. محمد الساكت

مكتبتنا العربية

الاستعمار ، والاستعمار الثقافى

« الاستعمار » : كلمة بغيضة جارحة لنفس كل من يفقه معناها ، ويلمس سوء أثرها فى الأقطار العربية ، وليس لها أية صلة « بالعمران » و « الإعمار » إلا أن تكون من قبيل تسمية الأضداد . وهى تسمية معروفة قديما عند العرب . وكان الأصح والأجدر أن تستبدل بها كلمة « التخريب » أو الدمار .

ولا حاجة بنا للبحث عن أصل هذه الكلمة اللغوى أو تاريخ استعمالها فى اللغة العربية ، فهى كلمة عصرية موضوعة تلازم معنى الغزو والقرصنة والظلم والعدوان ، ولعل بعض الكتاب الذين اشترى الأجانب أقلامهم وضمائرهم ، هم الذين أطلقوا صفة «الاستعمار» على هذا الغزو الأجنبى الخطير المدمر للأقطار العربية والإسلامية والشرقية .

* * *

لقد بدأ الغزو الاستعمارى على الشرق من قبل دولتى إسبانيا والبرتغال فى القرن الخامس عشر الميلادى ، بعد إخراج العرب والمسلمين من الأندلس ، واكتشاف أمريكا وشواطئ إفريقية الغربية ثم الهند وجنوب آسية . وفى ذلك الحين كانت جمهوريتا البندقية وجنوا وغيرهما من جمهوريات إيطالية ، تسيطر على التجارة فى البحر الأبيض المتوسط بين البلاد العربية وأوربة ، ويعم نفوذها الاقتصادى جميع البلاد العربية والإسلامية التى هى على شواطئ البحر المذكور . فلما تدفقت خيرات هذه البلاد فى آسية وإفريقية على إسبانية والبرتغال وإيطالية وقع التنافس والخصام بينها ، فخشى البابا حينذاك أن تقع الحرب بين هذه الدول المتنافسة ، فتجر الخراب والكوارث على الممالك الكاثوليكية بعد أن تمكنت من إجلاء العرب من إسبانية ، وأمنت خطر زحفهم من جديد عليها ، فأصدر مرسوما بابويا يقسم مناطق الاستعمار بين هذه الدول ، ويجعل أمريكا الشمالية والجنوبية نصيب إسبانيا ، ويخص البرتغال بغرب إفريقية وجنوب آسية ، ويجعل البلاد الواقعة على شواطئ البحر الأبيض من نصيب الجمهوريات الصغيرة الايطالية . وقد أدت سيطرة الاستعمار البرتغالى على جنوب آسية ، الى قطع التجارة بين البلاد العربية من جهة وبين الهند والصين والهند الصينية وأندونيسية وغيرها ، وحلت بالبلاد العربية نكبة اقتصادية يمكن تقدير مداها مما كتبه المؤرخ المصرى ابن إياس . وقد كان مما ذكره فى حوادث شهر ذى الحجة

مكتبتنا العربية

سنة ٩٢٠ هجرية ما خلاصته : ان استيلاء البرتغاليين على الهند ومنعهم مراكب التجار من السير عبر البحر الأحمر قد أدى الى خلو الاسكندرية وميناء دمياط من السكان والتجار فأصبحتا خرابا ، كما أن ميناء جدة لم يصلها مركب تجارى واحد خلال ست سنوات .

وقد بقى هذا التقسيم البابوى مدة طويلة ، نهضت فى أثنائها دول بريطانية وفرنسة وهولندة ، فزاحمت إسبانية والبرتغال وتغلبت على بعض مستعمراتهما ، كما زاحمت الجمهوريات الإيطالية فى البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط وسيطرت على المراكز الاقتصادية فيها .

* * *

وأجدر الأمم بمعرفة معنى الاستعمار وحقيقة أمره ، هى شعوب آسيا وإفريقية ، والمسلمون بصورة خاصة ، والعرب بصورة أخص ، فقد ناء عليهم بلاء الاستعمار بكلكله ، وجثم على صدورهم بقضه وقضيضه ، وغزاهم بخيله ورجله ، وأذاقهم العذاب الأليم ، فتحكم فى بلادهم ، وسلب أموالهم ، وأذل رقابهم ، بل هو فى بعض الأقطار دمر البلاد ، وقوض الكيان ، واستأصل الثقافة ، ومحق العنصر . والشاهد على ذلك ما أصاب الهنود الحمر فى أمريكا من غزوة المستعمرين الأوربيين ، وما أصاب كثيرا من الشعوب الافريقية والأسيوية . بل لدينا شاهد أقرب وأعجب ، هو ما أصاب الشعب العربى الفلسطينى خاصة من المؤامرة الاستعمارية اليهودية .

ولا يتسع المجال لسرد كثير من الشواهد والوقائع والفظائع التى اقترفها الاستعمار فى تلك الشعوب ، فانها مسجلة فى صفحات التاريخ ، ولكننا نضرب المثل على النزعة الاستعمارية العدوانية التى سيطرت على عقول أولئك الغزاة الظالمين ، بما كتبه مونتسكيو الكاتب الفرنسى الشهير ، إذ أورد فى الفصل الخامس من كتابه المعروف (روح القوانين) الجملة الآتية محاولا تبرير اتخاذ الزنوج عبيدا . قال : « إن شعوب أوربا بعد ما أبادت سكان أمريكا الأصليين ، وهم الهنود الحمر ، لم تر بدا من استعباد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال هذه الأقطار الشاسعة ، فأن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم إلى رءوسهم ، ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله ـ وهو ذو الحكمة البالغة ـ قد خلق روحا ، وعلى الأخص روحا طيبا ، فى أجسام حالكة السواد . . . » .

ولم يكن مونتسكيو وحده هو الذى يرى أن الشعوب السود أو الحمر ليست لها أرواح ، وأنها جديرة بالاستعباد ، بل إن غزاة أمريكا الشمالية الأولين ، حتى رجال الدين منهم كانوا ينعتون سكان البلاد الأصليين بأنهم من سلالة الشيطان ، ويحضون على القضاء عليهم

مكتبتنا العربية

بكل الوسائل ، ومن ذلك نشر الأمراض السارية بينهم ! وما زال غزاة أمريكا ممعنين فى محق السكان الأصليين حتى استأصلوهم تقريبا ، وهم اليوم يعاملون الزنوج الذين جاءوا بهم من إفريقية أسوأ معاملة ، ويشنقونهم على جذوع الأشجار دون محاكمة ، ويزعمون مع ذلك أنهم ديمقراطيون عادلون ! ولا يقل عن هذه الفظاعة ما يقترفه المستعمرون اليوم فى أقطار المغرب العربى فى شمال إفريقية ، وفى قبائل الماو ماو فى كينيا وغيرها من البلاد التى يحتلونها ويستعمرونها . ورحم الله (شوقى) الذى أصاب كبد الحقيقة عند ما وصف المستعمرين بقوله :

وللمستعمرين ، وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق

وفى ذلك تصديق لقوله تعالى فى وصف اليهود : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة » .

* * *

ولا ريب فى أن الخطة الخطيرة التى رسمها المستعمرون للأمة العربية ، وقد رأينا بوادرها فى فلسطين التى نعرف جميعا ما وقع عليها من ظلم ، وما نزل بها من كارثة لم يرو فى التاريخ نظيرا ، وأن الانجليز لم يكتفوا باستعمارها ، بل زادوا عليه إجلاء شعبها عن بلاده بالحديد والنار ، وأحلوا فيها شعبا دخيلا أجنبيا .

لا ريب فى أن هذه الخطة الخطيرة ، بل المؤامرة الانجلو أمريكية اليهودية ، لو قيض لها النجاح فى فلسطين ، فإنها ستنفذ حتما فى سائر الأقطار العربية الداخلة ضمن نطاق المطامع اليهودية وبرنامجهم المعروف « من النيل إلى الفرات » . فليتنبه العرب لما يراد بهم ، وليأخذوا حذرهم من كيد المستعمرين ومؤامراتهم التى يبيتونها لهم .

* * *

لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية العاتية من أكثر أقطار العالم ، وخلصت أكثر شعوبه من رجس الاستعمار ، وقد انطوى بساطه من آسيا ، منذ وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها ، فخرج مذموما مدحورا من الهند وباكستان ، وأندونيسيا ، وبورما ، وسيلان ، والهند الصينية ، وسيام ، وغيرها من معظم الأقطار الآسيوية ، إلا من الأقطار العربية فى آسيا وافريقية حيث لا يزال يرزح بعضها تحت كلكله ، أو يسيطر بنفوذه على بعض آخر ، كفلسطين والأردن وجنوب اليمن والمحميات وإمارات الخليج العربى وغيرها ، ومما يمض ويؤلم ان هذا الاستعمار الذى اضطر إلى الانكماش والتقلص فى الأقطار الآسيوية بعد الحرب الأخيرة ، انتعش واشتد ساعده ، واتسعت دائرته فى الأقطار

مكتبتنا العربية

العربية ، كما حدث فى حضرموت ولحج وما حولها ، وفى الكويت والبحرين وقطر ومسقط وغيرها من المناطق التى ظهر فيها البترول أو التى اشتم فيها رائحة البترول ، كما تشتم الهرة رائحة اللحم : كعمان والبريمى . وقد حسر الاستعمار البريطانى القناع عن وجهه أخيرا فى اقتحامه المناطق التابعة لإمامة عمان المستقلة ، التى لم يسبق له دخولها ، وفى هجومه أخيرا على واحة البريمى العربية السعودية .

لا شك أن هذا دليل على مبلغ استخفاف الاستعمار البريطانى الغاشم بالأمة العربية ، وامتهانه لكرامتها ، وكأنى ببريطانيا تريد أن تستعيض بالأقطار العربية فى آسيا وإفريقية ما فقدته من مستعمراتها العديدة وامبراطوريتها المنهارة فى آسيا ، ومن ناحية أخرى فأنا نرى الاستعمار الفرنسى يقترف من الفظائع فى أقطار المغرب العربى ما يدمى القلوب ، ويثير كوامن النفوس ، ولكننا إذ نستنزل اللعنات الإلهية والغضبات الربانية على جميع المستعمرين الظالمين ، لا نستطيع أن نخلى أنفسنا وشعوبنا — معاشر العرب والمسلمين المظلومين — من اللوم والتثريب ، والتقريع والتأنيب ، لأن الأمة التى تنام على الضيم وتقبل الظلم ، وتستكين للظالمين ، إنما تشجع بذلك ظالميها على ظلمهم ، وتستحق على خنوعها واستخذائها لوما أشد من لومهم . وإن من عرف تاريخ الأمة العربية المجيد ، من الأجانب أنفسهم ، ليعجب أشد العجب ، كيف قبلت هذه الأمة العريقة — فى المجد والحضارة ، والقوة والشجاعة — لنفسها هذا الذل والصغار ، وكيف أصبحت هدفا لمطامع أذل الأمم من اليهود وغيرهم .

هنالك نيف وعشرون قطرا عربيا ترزح تحت أثقال الاستعمار : كفلسطين ، والأردن ، والكويت ، والبحرين ، وقطر ، وأبو ظبى ، ودبى ، والشارقة ، ومسقط ، وعدن ، وحضرموت ، ولحج ، وبقية مايسمى المحميات التسع ، وزيادة على ذلك تونس والجزائر ، ومراكش ، والريف وغيرها من البلاد العربية فى إفريقية وآسيا .

* * *

وان الإنسان ليعجب كيف يصبر العرب على كل هذا الأذى ، وانه لعار أى عار على الأمة العربية أن تعد أقطارها الرازحة تحت نير الاستعمار بالعشرات ، بينما تخاصم الأمم الأخرى ألد الخصومة على منطقة واحدة أو بلد واحد ، كما تفعل إسبانيا اليوم لأجل استرداد جبل طارق من انكلتره ، أو قد تشن حربا طاحنة كما فعلت ألمانيا لاسترداد ميناء « دانزيغ » .

مكتبتنا العربية

كيف يعقل أن هذه الأقطار العربية التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى حدود إيران، وتربطها أقوى الروابط برقعة الأقطار الإسلامية الشاسعة الممتدة من مراكش إلى أندونيسية، والتي لا ينقصها وفرة العدد، ولا وفرة الثروة، ولا سعة الأرض، ولا المواقع الجغرافية والاستراتيجية، ولا الذكاء والنباهة، ولا البسالة والشجاعة، ولا غير ذلك من مكونات الأمم الحية. كيف يعقل أن هذه الأقطار تظل دون غيرها من أمم الأرض ذليلة خاضعة لنير الاستعمار، مسلسة قيادها للظالمين، يمزقون أوطانها، ويلغون في دمائها، ويسومونها سوء العذاب، ويتخذون من أبنائها وقودا لنار الحرب.

ألا إن الاستعمار - أيها العرب - قد تصدع كيانه، وأخذ بالانهيار بنيانه، وآذنت شمسه بمغيب، وإن الأمم المظلومة التي ظهرت بوادر يقظتها منذ مستهل هذا القرن أو قبله، قد تجلت نهضتها، واشتدت توراتها في أعقاب الحرب العالمية الأخيرة، ولا سيما بعد انعقاد مؤتمر نيودلهي الذي جمع معظم الدول الاسيوية عام ١٩٤٨، وكان له أثر كبير في استقلال أندونيسيا، وفيما تلا ذلك من الجهود التي انتهت بعقد مؤتمر باندونغ، الذي تجلت فيه غضبة شعوب الشرق ودوله في كل من آسيا وإفريقية على الاستعمار، وتمردها على الدول الاستعمارية الكبرى المسيطرة على منظمة الأمم المتحدة، وقد سجلت على نفسها في ميثاقها مكافحة الظلم والاستعمار، وتحرير شعوب آسيا وإفريقية كلها، ومساعدتها على نيل استقلالها.

لقد كان مؤتمر باندونغ، والحوادث التي وقعت قبله، والتي توالت بعده، بشيرا لشعوب الشرق، ونذيرا للاستعمار بتصرم أيامه، وانتهاء عهده إلى غير رجعة، فهو اليوم في تقهقر واندحار، وستعقبه الهزيمة النكراء. فعلى الشرقيين عامة، والمسلمين والعرب خاصة، وهم الذين يعانون من ظلم دول الاستعمار أكثر مما يعانيه غيرهم، أن يجمعوا أمرهم، ويشحذوا عزائمهم، لطرد الاستعمار من بلادهم، وتقويض بنيانه من القواعد.

إن الأحداث الأخيرة العظيمة في العالم العربي، ولا سيما تلك الخطوات المباركات نحو التسلح، والتكتل، وتوحيد القيادة العسكرية، التي تمت - بفضل الله - بين مصر والمملكة العربية السعودية وسورية، وما امتازت به من جد وشجاعة وتصميم، لجديرة بأن تفتح أمام الأمة العربية بابا واسعا من الأمل بالفوز والنجاح، وبأن تكون نقطة تحول في تاريخ العرب أجمعين. ولا ريب في أن ما تم حتى الآن وما نرجو أن يتم في الأيام

مكتبتنا العربية

المقبلة من أعمال ومساع موفقة تبشر بمستقبل سعيد للعرب يتمتعون فيه بالعزة والمنعة ، والاستقلال والحرية ، ولا شك أن عزة العرب هى أساس لعزة الإسلام . وفى الحديث النبوى الشريف : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » .

وإنى لأذكر خطابا ألقاه شاعر الإسلام ، وفيلسوف باكستان ، المرحوم محمد إقبال ، فى المؤتمر الإسلامى العام الذى عقد فى القدس سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ، جاء فيه قوله : « إن الإسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الإلحاد ، وثانيهما الاستعمار ، وإن مستقبل الإسلام رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب ، فإذا تمت الوحدة العربية علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الأرض » .

اللهم إن هذا هو الحق ، والحمد لله حمدا كثيرا إذ أرانا اليوم بوادر هذه الوحدة ، وهى تتحقق فيما ذكرت من تكتل هذه الدول العربية الثلاث ، وتسليحها ، وتوحيد قيادتها .

* * *

يا إخوانى : لا ينبغى أن نكتفى بالأمانى والآمال وحدها ، وحتى بالتكتل والتسلح وحدهما ، بل علينا أن نتعرف أساليب هذا الاستعمار الغاشم وخططه ، ونقف على مؤامراته ودسائسه وشباكه ، لنأخذ حذرنا منها ، ونعمل على إحباطها ، ونجاهد بإخلاص وتصميم لتحطيم أغلال الاستعمار ، والقضاء عليه فى بلادنا . فالاستعمار لا يعتمد على الغزو العسكرى فحسب ، بل جل اعتماده على وسائل أخرى أعظم أثرا وأشد خطرا من القوة العسكرية ، كدوائر المخابرات ، ومنظمات الطابور الخامس ، والدعاية والارجاف ، والدس والتفريق الذى اتخذه المستعمرون أساسا للحكم إذ يقولون : (فرق تسد احكم) ، ثم هنالك الغزو الاقتصادى ، والثقافى ، والاجتماعى ، والتبشيرى ، وهنالك إثارة الفتن ، وبلبلة الآراء ، وبث الشكوك والريب فى نفوس الشعب ، وإزالة الثقة بالمخلصين من الزعماء والقادة .

* * *

فنعمل على مناوأة الاستعمار فى كافة هذه الوسائل التى يستعملها ضدنا ، ولنحذر دوائر المخابرات الأجنبية ، التى هى منظمات عظيمة قوامها عدد كبير ممن تستأجرهم وتوظفهم وتدسهم فى كل ثغرة من ثغرات البلاد ، وفى كل مكان خطير من جسم الأمة ، فيقعدون لها كل مرصد ، ويتربصون بها الدوائر ، وتستعين بأفراد الطابور الخامس من أتباع المستعمرين ومن دعاة الهزيمة والمرجفين . ومن وسائلهم الخطيرة أن يعملوا جاهدين على التفريق بين

مكتبتنا العربية

عناصر الأمة وأفرادها وطوائفها وأحزابها ، لإثارة الفتن ونشر الفوضى وبلبلة الآراء ، وتمزيق الأمة شر ممزق .

أما الاستعمار الاقتصادى فعلينا أن نكافحه بمقاطعة المصنوعات والنواتج الأجنبية حسب الاستطاعة ، وبالاقبال على المصنوعات والنواتج الوطنية وتعضيد المشروعات الأهلية .

وأما الاستعمار الثقافى ، فهو غزو مدمر شديد الخطر ، عميق الأثر ، وحسبى أن أذكر نقلا عن السجلات الرسمية لعام ١٩٥١ أن فى مصر (٧٩) تسعة وسبعين ألف طالب يدرسون فى المدارس الأجنبية ، وفى لبنان على صغره (٤٤) ألف طالب ، وفى فلسطين حسب آخر إحصاء لها قبل الكارثة (٢٦) ألفا ، وفى سورية (٩) آلاف ، وفى الأردن (٨) آلاف طالب ، وما يقارب هذ النسبة فى بعض الأقطار العربية .. وجميع هؤلاء يتلقون الثقافة الأجنبية المدمرة للوطنية والعقيدة والتقاليد .

وقد سمعت من شخصية دبلوماسية إسلامية غير عربية بأن فى جامعة اكسفورد كرسيا خاصا لدراسة الوسائل المؤدية الى هدم الإسلام .. وأن هذا الكرسى أسس فى هذه الجامعة منذ عشرات السنين ولا يزال .

فلماذا تسمح الأمة العربية فى مختلف أقطارها للمؤسسات والمدارس الأجنبية أن تسمم ناشئتها وشعوبها ، وتقضى على مستقبلها ، على حين لا تسمح دولة أجنبية لأية دولة أخرى بفتح مدرسة أو مؤسسة واحدة فى بلادها ؟

ولهذه المناسبة أذكر لكم أن السلطات اليهودية فى فلسطين المحتلة لا تسمح بفتح أية مدرسة أجنبية ، ولا تسمح أيضا بفتح مدرسة علمانية ولو كانت يهودية ، ولقد قامت منذ عامين أزمة وزارية شديدة هناك لأن الوزارة اليهودية سمحت بفتح مدرسة علمانية يهودية واحدة لا تعلم الدين اليهودى ، واستمرت الأزمة إلى أن ألغيت رخصتها .

واسمحوا لى أن أسترعى أنظاركم إلى أن من وسائل (الاستعمار الثقافى) فى بلادنا تلك الدعوة الوقحة الأثيمة ، لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وهى شنشنة عرفناها من أخزم ، وقد روج لها المستعمرون وأذنابهم فى الأقطار العربية وفى الأقطار الإسلامية كتركيا التى نجحوا فى حملها على نبذ الحروف العربية نتيجة لإرغامها على قبول شروط الصلح الذى عقده الحلفاء معها فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ والمعروفة بشروط كيرزون الأربعة وهى : (١) قطع كل صلة بالإسلام . (٢) إلغاء الخلافة . (٣) إخراج أنصار

مكتبتنا العربية

الخلافة والفكرة الإسلامية من البلاد . (٤) اتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام . وقد اضطر الأتراك إلى استعمال الحروف الافرنجية وفقا للشرط الأول القائل بقطع كل صلة مع الاسلام .

وإن أتباع الاستعمار فى البلاد العربية يحاولون حملنا على ترك حروفنا واستعمال الحروف الافرنجية ، ليبعدونا عن القرآن والإسلام ، ويقوضوا ثقافتنا العربية التى يرتبط بها عشرات الملايين من العرب ومئات الملايين من المسلمين .

وحسبى أن أذكر أن اليهود بعد تشردهم أكثر من ألفى عام وضياع لغتهم ، قاموا يعملون على إحيائها ، وشرعوا يعلمون بها ، ولم يستبدلوا حرفا من حروفها ، مع اعترافهم بضعفها وعيشتهم العصور الطويلة فى أوربا وأمريكا حيث تستعمل الحروف اللاتينية . لقد استطاع اليهود أن يحيوا حروفهم ولغتهم الميتة ، ويجعلوها لغة التعليم فى جامعاتهم ومدارسهم ، فى الحين الذى نسمح فيه معشر العرب والمسلمين فى بلادنا بقيام دعوة أثيمة كهذه ، لإضاعة لغة القرآن ، ومحو الحضارة العربية والإسلامية ، باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية . إن هذا لشىء عجاب !

وهذا (الاستعمار الثقافى) أخطر أنواع الاستعمار لأنه يستولى على القلب والعقل .

* * *

أما الغزو التبشيرى ، فإنه يتعاون مع الغزو الاستعمارى الى أبعد مدى .

وبرهاننا على ذلك أن اردكلة قالها اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا الاسبق وصاحب الوعد المشئوم لليهود باستعمار فلسطين وإنشاء الوطن القومى اليهودى فيها وهى : «إن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة ، وعضدها فى كثير من الأمور المهمة ، ولولاهم لتعذر على تلك الحكومات أن تذلل كثيرا من العقبات ، ولذلك فأنا فى حاجة الى لجنة دائمة تعمل لما فيه صالح المبشرين » . هذا وقد كان اللورد بلفور نفسه رئيس شرف للجنة تبشيرية .

وقد ألف الدكتور مصطفى خالدى أستاذ التوليد فى جامعة بيروت الأميركية سابقا والدكتور عمر فروخ كتابا قيما ، اسمه (التبشير والاستعمار فى البلاد العربية) أوردا فيه براهين كثيرة قاطعة على جهود المبشرين التى ترمى إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربى . ومن أراد أن يعرف مبلغ خدمة التبشير للاستعمار ، فليقرأ كتاب البحاثة الفاضل الدكتور مصطفى الحفناوى عن (قناة السويس) وما كان لرجل التبشير من جهود ومساع فى سبيل حض المستعمرين على فتح قناة السويس والاستيلاء عليها .

مكتبتنا العربية

هذا وإن من وسائل الاستعمار الخطيرة ، استغلال بعض الشخصيات فى البلاد العربية من المشهورين بالذكاء والبراعة ، وبالخضوع للمستعمرين ، والشره الى المال والمنصب ، فأولئك أجدر الناس بالنبذ واللوم والاحتقار .

وقد عرف فريق من هؤلاء واشتهر بمالأة المستعمرين ، على حين أخذ فريق منهم يعمل لصالح الاستعمار من وراء ستار ويقبع فى المراكز الخطيرة الحساسة فى بعض الأقطار ، ولا ريب فى أن يقظة الأمة العربية ، ووعيها القومى ، جديران بهما أن يحبطا كيد الكائدين ، ومكر الماكرين ، ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .

* * *

وبعد ، فعلى العرب فى كافة أقطارهم وأمصارهم أن يكافحوا الاستعمار بجميع صوره وأشكاله ، وأساليبه ووسائله ، وأن يحبطوا كيده ، ويخمدوا فتنته ، وأن يطردوه من قلوبهم قبل كل شيء ، فاذا طرد الاستعمار من القلوب ، لم يكن له بقاء فى أرض الوطن ، وليكن الكفاح حازما حكيما ، منظما مستمرا ، حتى يعتقد المستعمر أن بقاءه فى البلاد مستحيل عليه ، وأنه يعود عليه بالخسران المبين والضرر العظيم .

لقد كتب لورنس الذى اشتهر اسمه ، ولمع نجمه خلال الحرب العالمية الأولى ، مقالا فى عام ١٩٢١ جاء فيه ان المستعمرين لا يستقرون فى الأقطار التى يتمرد أهلها عليهم باستمرار ، أو التى يفوق غرمهم فيها غنمهم منها . وهذا قول صحيح صريح .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن ينقذ الأقطار العربية والإسلامية والشرقية وكل قطر مستعبد ، من آفة الاستعمار ومن ذل الخضوع والخنوع للمستعمرين ، وأن يهدى أولئك الذين سخروا أنفسهم مطايا وأنصارا للاستعمار ، فتسربلوا بالخزى والعار ، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ، والله لا يصلح عمل المفسدين ؟

محمد أمين الحسينى

التقليد فى الزندقة

قال أبو عثمان الجاحظ فى رسالة (أخلاق الكتاب) :

« وقد قال أهل الفطن : إن محض العمى التقليد فى الزندقة ، لأنها اذا رسخت فى قلب امرئ تقليدا أطالت جرأته ، واستغلق على أهل الجدل إفهامه » .

مكتبتنا العربية

الأدب العربي فى أمريكا

فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى وما بعده هاجر بعض أبناء سوريا ولبنان من بلادهم الى أمريكا الشمالية والجنوبية « والهجرة من سوريا ولبنان الى أمريكا لم تكن فى مجموعها إلا فرارا من سوء الحالة فى الأوطان ، أو بعدا عن الضيق والتماسا للرزق فى أفق فسيح ، أو التجاء الى كنف الحرية الأمين فى بلد تقدس الحرية » يضاف الى ذلك تلك الصلات التى ربطت هذين القطرين بأمريكا بواسطة مدارس الأرساليات الأمريكية التى انتشرت فى ربوعهما .

وقد تفرق هؤلاء المهاجرون فى أنحاء كثيرة من أمريكا إلا أن أكثرهم استقر فى الولايات المتحدة ، والبرازيل ، والمكسيك، ولهم الآن فى هذه البلاد جوال ذات طابع خاص ، ولها تقديرها من الشعب الأمريكى ومن حكوماته . وقد عرف أهل سوريا ولبنان بالنشاط الاقتصادى وحب الهجرة ، فهم سلالة الفينيقيين الذين جابوا البحار والأقطار بأساطيلهم البحرية ، ولهم شهرتهم فى تاريخ الحرب والتجارة .

ولما استقر بهم المقام فى أمريكا بدا نشاطهم فى الميدان الاقتصادى ، وما لبثوا أن أثبتوا نجاحهم فى كفاحهم ، فأصبح لبعضهم مؤسسات تنافس بعض المؤسسات الأمريكية فى أشهر المدن .

وقد ساير نشاطهم الأدبى نشاطهم الاقتصادى ، فأنشئوا صحفا عربية تنشر أخبارهم ، وتعبر عن شعورهم فى منازحهم ، وتسجل شعر شعرائهم ونثر أدبائهم ، وأنشئوا جمعيات أدبية مختلفة لها نظم وقواعد ، وابتدأ نتاجهم الأدبى يظهر ثم ينمو ويكثر حتى كان لهم بعد فترة قليلة جملة من الدواوين وفدت على الشرق تعلن عن نشاطهم فى الميدان الأدبى ، وتكون مادة للدارسين وعشاق الأدب ، يتدارسونها ويستبينون خصائصها ، ويستنبطون — بالمقارنة بين أدبهم هذا الجديد بأمريكا وأدبهم القديم فى الشرق — الفروق والميزات التى يتميز بها أدبهم .

مكتبتنا العربية

وقد كان لهؤلاء الفضل فى أن يكون للغة العربية وطن جديد ، وهو وإن كان وطنا ضيقا إلا أنه وطن ذو شخصية وكيان خاص ، وليس هذا بالعمل اليسير الهين ، اذ كيف تجد لغة غريبة مثل اللغة العربية مكانا لها فى قارة ما عرفتها فى تاريخها من قبل .

ومن أشهر الجمعيات الأدبية التى أنشئت هناك : الرابطة القلمية التى أنشئت بنيويورك ، وكانت مكونة من : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، ورشيد أيوب ، وإيليا أبو ماضى ، وغيرهم .

وقد ظهر أثر الحياة الأمريكية فى توجيه أدب هؤلاء وجهة جديدة ، فالتقت رغباتهم على الثورة على الشعر القديم ليحرروه من الجمود والتقليد ، وحاولوا الخروج على مقوماته فى الألفاظ والموضوعات والأوزان ، وقد يكون الخروج فى الموضوعات طبيعيا ومقبولا نتيجة لما وقعت عليه أنظارهم فى المهاجر ، ولاختلاف التقاليد والأفكار والعواطف والعادات ، واختلاف المستوى الثقافى فى الغرب والشرق ، ولا بأس عليهم فى ذلك .

أما الذى كان جديرا بالعناية به والحفاظ عليه فهو سلامة اللغة وسلامة الأوزان ، وقرب الأخيلة والتشبيهات والاستعارات ، فلا يكون الشعر عربيا وهو لا يجرى على قواعد اللغة والأوزان الشعرية ، لهذا يجد الدارس لأشعارهم مجالا للمؤاخذة اللغوية والعروضية .

وقد تشيع لأدب هؤلاء وشعرهم خاصة بعض الأدباء من بنى جلدتهم ، فدعوا إليه وعجبوا منه وسموا أصحابه « مدرسة الشعر الحديث » وزعموا أنهم طوروا الشعر وطفروا به الى الكمال طفرات قوية ، وأخذوا يدرسون خصائص شعر هذه المدرسة وقالوا : « إن من خصائصها الحنين الى الأوطان ، والتغنى بمحاسن الطبيعة ، والدعوة الى المعانى الإنسانية السامية : من الزهد فى الدنيا والبر بالفقراء ، والتسامح مع المخالفين فى العقيدة والرأى ، ومن خصائصها استحداث أوزان شعرية لم ينسج على منوالها من قبل » .

وقد فتن بشعر المدرسة الحديثة بعض الناشئين فى الأدب ممن قصر باعهم فى الأدب القديم ، وكان حظهم من الثقافة الأدبية محدودا ، ولم يرتكز على أساس من دراسة الأدب العربى القديم ذى المميزات الخاصة فى الألفاظ والأساليب والأخيلة والأوزان والقوافى .

إلا أن النقاد من ذوى الثقافة العربية الأصيلة يرون فى أكثر شعرهم وجوها للنقد والمؤاخذة فى الألفاظ والأساليب والأوزان وفى الموضوعات أحيانا ، فقد تسلمت ألفاظ

مكتبتنا العربية

من العامية الى أدبهم، ولم تسلم أساليبهم من الغموض والإبهام ، واضطروا الى ارتكاب الضرورات اللغوية ، كما أنهم أغرقوا فى الأخيلة مما تأثروا به فعزت مراميها على قارئيها . أما فى الموضوعات فقد حاولوا أن يكون لهم فى شعرهم تأملات فلسفية، أو نزعات صوفية، فكانت، ولكنها كانت فلسفة سطحية، أو تقليدا لنزعات صوفية قديمة ملؤها الشك والحيرة .

« ولشعراء المهجر صناعة بيانية ربما ازورت قليلا عن الذوق العربى السليم ، فأسلوبهم فى الشعر ـ إلا نفرا منهم ـ لاشية فيه من البلاغة وحسن السبك ، ويعللون ذلك بأن لغة الشعر يجب أن تنسلخ عن لغة الخطابة ، وأن التأمل فى الحقائق الكونية تعجز الألفاظ الموشاة عن تأديته أصدق أداء . ورأينا أن الشعر الخالد لا تكفى المعانى وحدها لخلوده ، وانما لابد من مصاحبة القيم التعبيرية له حتى يظفر بالبقاء ويكتب له الخلود » [١] .

أما فى الأوزان فما استحدثوه منها ونسجوا على منواله قد خرج بالشعر عن طبعه ، وخلط بينه وبين النثر ، ومن هنا أصبحنا نسمع كلمات « شعر منثور ونثر شعرى » ونحو ذلك مما يدل على الفوضى بين نوعى الأدب .

وخلاصة ما يرى هؤلاء الناقدون أن مدرسة الشعر هذه قد جددت فى الشعر ، ولكنها خرجت بأكثره عما عرف الناس من طريق الشعر العربى الى كلام لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ، ولعل أصدق تصوير لتجديد هؤلاء وما فيه من مؤاخذة هو ماذكره عن أحدهم وهو الشاعر الياس فرحات حيث يقول :

أصحابنا المتمردون خيالهم تقضى قريش به وتحيا حمير
لغة مشوهة ومعنى حائر خلف المجاز ومنطق متعثر
وزعيمهم فى زعمهم متفنن عجبا أكان الفن فيما يضمر
لا الأرض تفهم ما يصوره لها ذاك الزعيم ولا السماء تفسر

---

(١) للشاعر عزيز أباظة فى تصديره لكتاب الشعر العربى فى المهجر للأستاذ عبد الغنى حسن .

مكتبتنا العربية

ولعل من الإنصاف أن يقال : إن لهؤلاء المهاجرين فضلا فى الرحلة باللغة العربية من الشرق الى الغرب والتعريف بها وبأدبائها الى بعض أقطاره وأبنائه : دراسة فى المعاهد ونشرا فى الصحف والمجلات ، كما أن لهم تجديدا فى بعض الموضوعات كأثر لاختلاف البيئة فى الشرق والغرب حضارة وعمرانا ، ولبعضهم شعر جزل يستطيع متذوقه أن يضعه بين الأشعار القديمة والحديثة المعجبة المصطفاة، وكثير من أشعارهم مجموعات من الألفاظ الموصوفة التى يعوزها التناسب والانسجام ، ولا يستسيغ الذوق العربى أكثر أخيلتها ، ويتكلف الذهن عناء كبيرا فى الوصول الى مقاصدها ومراميها .

أما التشيع لشعرهم ووصفهم بأنهم مدرسة شعرية ذات خصائص فنية فعلت بالشعر مالم يفعله أحد من قبل ، فذلك من الدعاوى التى تحتاج إلى بينات وبينات .

على أن أبرز خصائص هذه المدرسة هو ـ مع الأسف ـ تناولها للمسائل الدينية دون حيطة أو حذر ، ودون مراعاة لما ينبغى لها من توقير وإجلال . وإنهم ليتناولونها فى شبه التندر والفكاهة ، ومما يقول بعضهم :

أصلى لموسى وأعبد عيسى وأتلو السلام على أحمد

ومن عجب أن يجعل بعض الناس ذلك فضيلة لبعض الشعراء هى فضيلة « التخلص من التعصب واتساع النظرة الدينية » ويقول بعض هؤلاء الأدباء : « إن الدين ما أنار القلب ، ومتى كان ضمير جارى كنور الشمس حيا نقيا ، وقلبه كوردة تتفتح فى الفجر لتستقبل ندى السماء ، فلا فرق إذ ذاك عندى ان ذكر بين الدراويش أو سجد مع اليسوعيين أو اغتسل فى نهر الكنج مع البوذيين » .

«فالبحث فى الحقائق الكونية والدقائق النفسية قذف بشعراء المهجر فى تيه من الشكوك والريب ، وأغرقهم فى لجة عميقة من الأوهام والظنون . وقد يكون الشك عند الفلاسفة ذريعة من الذرائع التى يتسلقون عليها لهتك حجاب الحقيقة أو إزالة النقاب عن وجه اليقين، أما فى شعر المهجر فلا نجد إلا الشك ـ والشك المجرد ـ » .

« ولعل انتفاع أدباء المهجر بالأدب الغربى أورثهم هذه النزعة فشكوا فى كل شىء ولم يهتدوا إلى شىء » . وكما أن كثيرا من أدباء الغرب لا ينظرون إلى الأديان نظرة ملؤها

مكتبتنا العربية

القدسية والاحترام ، فكذلك شعراء المهجر لا يأبهون بتعاليم الدين، ولا يحفلون بمراسيم العبادة، حتى ان « إيليا أبو ماضى » يزعم أن جهنم ليست غير فكرة تاجر، وأن الله أمر الناس بأن يرحم بعضهم بعضا ، فكيف يرضى بأن يعذبهم فقال :

كم روعوا بجهنم أرواحنا ... فتألمت من قبل أن تتألما
زعموا الإله أعدها لعذابنا ... حاشا ورحمة ربك ان يظلما
ما كان من أمر الورى أن يرحموا ... أعداءهم إلا أرق وأرحما
ليست جهنم غير فكرة تاجر ... الله لم يخلق لنا إلا السما (١)

هذه كلمة موجزة عن الأدب العربى فى المهجر بأمريكا ، أما عرض ما هو موضع الإعجاب أو النقد من شعرهم فله حديث طويل مكانه الكتب الخاصة به ؛

أبو الوفا المراغى

---

(١) للأستاذ عزيز أباظة من المصدر السابق .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الشكوكيون

ليس شيء من أمور الدنيا إلا وهو معرض للشك ، حتى قال بعض الفلاسفة : إن كل شيء يقبل الشك ، حتى قولى هذا « إن كل شيء يقبل الشك » . ومن بين الفلاسفة طائفة يعرفون بأهل الشكوك ، يشكون فى كل شيء حتى فى وجود ذواتهم !

محمد المويلحى

مكتبتنا العربية

المرأة المثاليـــــة

فى تقدير الاسـلام

يحسنون صنعا و يقولون فصلا أولئك الذين يرون ـ ورأيهم الناجز السديد ـ أن المرأة فى تقدير الإسلام ينبغى أن تكون لها السيطرة على نزعاتها ونزواتها ، وأن تكون عقائدها النامية متصلة أوثق اتصال بأوضاع العلم وطرائق الهدى ، علم يبصرها بالحياتين : حياة الابتلاء وحياة الجزاء . والمرأة كثيرة الاضطراب فى الآراء ، سريعة السير مع الأهواء ، فلا بد لها من رباط وثيق يحمى بها نوازع الخير ومطالع التربية على أفضل وجه من المبادئ التربوية ، لأن المرأة شريكة الرجل فى حياته تقاسمه الأوصاب والأسباب ، وتقرع معه أقوم الأبواب ، وتسلك به أفضل طرائق الركاب .

لكن ذلك فى حدود عيناتها قوانين الأسر والجماعات والأفراد والأمم الناهضة فى قصب الكمال ، فهى منبت صالح للولد ، ونمط قويم للأسرة ، تبنى البيت ، وتبنى الخلق فى الطفل ، وتشرع للأسرة أقوم الشرائع وأهداها وأجداها على المجتمع وأولاها ، وذلك ما قصد إليه الإسلام فى أولى مراحله ، وذلك أيضا ما حفز شيخ العلماء شيخ الجامع الأزهر ، إلى إنشاء مؤسسة تربوية دينية يشرف عليها الأزهر فى كنفه ويسلكها فى رعايته .

لا نريد نحن العلماء أن تكون المرأة قاضية ، ولا محققة نيابة ، ولا مهندسة ، ولا زارعة ، ولا سباقة إلى ميدان الحروب تزاحم فيها الرجل وتكاتف فيها الجنود ، فذلك شىء لم تخلق له ولم تطبع على الاتسام به ، إنما نريد لها امرأة تحمى ذمار بيتها ، فتحل العقد والمشاكل بين أسرتها ، وتؤاخى بين أفرادها ، وتعلمهم نوازع الدين والخلق والفضيلة ، وتقتل فى نفوسهم حب الأثرة ودواعى الشر ومفاتن الحياة ومباهجها الأخاذة بالنهى والعقول .

ليس للمرأة أن تمارس أكثر من تلك العوامل والبواعث التى تبنى مستقبل الأجيال فى الأمم والشعوب ، وتخط للأحياء فى هذه الدنيا أبلغ الخطط وأجداها على الإنسانية المعذبة ، وليس معنى ذلك أن نحتبسها فلا نروضها على الخلق والدين ، ولا نضع يدها على ملاك

مكتبتنا العربية

الفضائل فتقول لها : هذا حلال وهذا حرام ، هذا ضار وهذا نافع ، هذا يسلك بالإنسانية إلى خير مداها ، وهذا يسلك بالإنسانية إلى الشرور والاثام .

ومن العجب العاجب أن تنبت نزعة أو فكرة فى بعض الرءوس فيقوم دعاة التضليل والشغب فى الحق الصريح ببث تلك الفكرة الرامية إلى تحلل المرأة من قيودها المتأصلة فيها ، وأن تقتحم على الرجل تصرفاته العقلية واليدوية ، وأن تواكب فى الحياة كل عمل يمتاز به الرجل فى قصب السبق ، ولا ندرى فى أى شىء تساوى المرأة الرجل وتسايره ، تلك مسألة تتعلق بتشكيل المجتمع وأوضاعه و بيان ما هو أفضله ، وما هو الوضع المطابق للفطرة التى فطر الله الناس عليها مما يقضى به الواقع من تاريخ الإنسان وحاضره .

وقبل أن نفيض فى هذا البحث لابد من شرح طبيعة المرأة و بيان حقيقتها لنسترشد بذلك فى تعيين الوضع الذى يجب أن تكون عليه فى تشكيل المجتمع تشكيلا طبيعيا ، نريد ذلك على أن يكون المنطق الذى نستهدى به هو منطق الطبيعة والعقل ، مؤيدا بالتجربة والواقع والمصلحة ، لا منطق التقليد وحب الشهوات ونزعات الفوضى والإباحة المتمردة .

أيها الناس : استفتوا الطبيعة فهى تفتيكم ، هذا ذكر ، وهذه أنثى ، تلدهما امرأة واحدة ، و ينحدران من صلب رجل واحد ، وربما كانا توءمين اتحدا فى جميع أسباب التكوين ما عدا سر الذكورة والأنوثة ، فيجىء أحدهما عظيم الخلقة صلب العظام ناشزها ، قوى العضلات ، ذكى الفؤاد ، قوى العقل ، شجاعا ، مقداما ، خشنا ، ذا شعر شائك يملأ وجهه وصدره وذراعيه ورجليه كأنما هو الأسد خشونة وافتراسا ، وتجىء الأخرى مخلوقا لطيف ظريفا ذا سذاجة وغرارة ، رخيم الصوت ، حلو الحديث ، رقيق الكلام ، لين الأعضاء ، ناعم الملمس ، جميل المحيا ، وسيم الطلعة ، بهيج المنظر ، كأنما هو الزهرة تفتحت عنها الأكمام ، ثم يختلفان فوق ذلك فى مميزات الذكورة والأنوثة اختلافا عظيما ، ينبئك بأنهما خلقان متباينان تباينا عظيما ، ويطرد أمرهما على ذلك اطرادا ، أليس لهذا معنى ؟ ألا يرشد هذا إلى شىء وهلا يشير إلى شىء ؟ ! !

إنه بلا شك يرشد إلى أن المرأة مخلوق متمم للرجل ، على معنى ألا تستقيم حياة أحدهما بدون الآخر ، لكن المرأة من ناحية تكملتها لحياة الرجل تحمل من الأعباء ما تستطيع به فرض هذه التكملة على الرجل ، فهى مطالبة بأن تتفقه فى دينها وخلقها وصوالحها الخاصة ومرافق حياتها . فالدين هو الرباط القوى الذى يسمو بها إلى أرق أنواع الكمال ، فقد فرضت فيها الأمومة قبل أن يفرض فيها شىء آخر .

مكتبتنا العربية

فرض فيها أن تكون بصيرة بحياتها التى تعيش فيها ، حياتها الزوجيـة ، وحياتها الشخصية ، فأذا انتهت حياتها الشخصية بفضائلها وقوانينها المثاليـة ، واقتحمت حياة الزوجية فنعما هى ، لأنها تبنى للرجل أسرة رشـيدة قيمة قائمة على حياطتها التى اكتسبتها قبل أن تكون أم ولد وصاحبة أسرة . والأزهر حين دعا ـ وعلى رأسه شيخ علمائه ومدبر أمره شيخ الجامع الأزهر ـ إلى إنشاء معهد للبنات ، فهو إنما دعا إلى تركيز الدين والخلق والفضيلة بين الفتيات اللاتى سيعرفن حين يخرطن فى سلك طالبات الأزهر ، كيف طغت المادة على المرأة بعد الحرب الثانيـة فجعلت منها مخلوقا تحلل من كل فضيلة ، بل تمحض لكل رذيلة ، وما أعظم الفرق بين فتاة أتت إلى الأزهر لا تخالط فيه الرجل ولا تسامره ولا تحاكيه ، إنما أتت لتنهل منه مبادئ الدين القويم ونظريات الشرع الحكيم ، فتخلق جيلا قائما على الورع والتقى والهداية ، وقد تأصلت فيها حوافز الخير ودواعى الرشاد . وبين فتاة ذهبت إلى بيئات أخرى فخالطت الرجـل فى كل مرافقه ، وواكبته حتى فى أعماله الذاتية .

منذ خمسة عشر عاما نادى قوم من علماء الأزهر الأقدمين بضرورة العزلة بين الشباب والفتيات فى الجامعة وقالوا لهم فى صراحة وجلاء : إن الاختلاط مخاطرة غير حميدة ، فأحرى بالقائمين على حراسة المبادئ التربوية والدينية والخلقية أن يبصروا بعاقبة هذا العمل الخطير ، ولكن ما أسرع أن قام فى وجههم « صاحب الخطوة الثانية الفاشلة » وكان يومئذ بكلية الآداب ، فناجز الشيوخ على عادته ، وتصدى لهم على طريقته ، وقال فى غير لبس ولا إبهام : لا مانع أن يختلط الجنسان فى سبيل العلم ، وكل جنس يستطيع أن يحمى نفسه من الجنس الآخر ، مما لا تزال آثاره عالقة بأذهان دعاة الإصلاح علوق الدرن بالرئة .

ولماذا نذهب بعيدا وقد أرشدت الإحصاءات الأخيرة الى أن ثلاثة آلاف من الطالبات انتسبن الى الجامعات الثلاث منذ سنة ١٩٥٠ فتزوج منهن بشباب تلك الجامعات ألفان وستمائة فتاة بألفين وستمائة فتى : وكلاهما من الجامعات الثلاث .

أليس ذلك أقطع دليل على أن الاختلاط فى صعيد واحد من أكبر الصوارف عن العلم .

ورحم الله شوقى إذ يقول :

قم ابن الأمهات على أساس ولا تبن الحصون ولا القلاعا
فهن يلدن للقصب المذاكى وهن يلدن للغاب السباعا

عباس طه
المحامى

مكتبتنا العربية

ابدءوا بأنفسكم

لا تكاد تجلس إلى صديق ، أو يضمك مجلس خاص أو عام ، حتى تسمع النقد اللاذع ، والشكوى المريرة ، وأنات التألم والتأوه على الفضيلة الموءودة ، وصيحات التحسر والجزع على الأخلاق التى فسدت ، والتقاليد الكريمة التى ماتت ، ثم على الفساد الذى ساد ، والبلوى التى عمت .

ويستطرد محدثك ، فيجعل من نفسه طبيبا حاذقا عارفا بأدواء المجتمع ودوائه ، ويشخص الداء ، ويصف له الدواء ، فى الرجوع إلى أحكام الدين ، وآداب الاسلام ، وتقاليد الشرق ، وأخلاق العروبه : فى البيت والشارع ، والمدرسة والنادى ، وفى الأسرة الصغيرة ، والمجتمع الكبير ، وفى كل مظاهر حياتنا وأساليب عيشنا .

فإذا ما انفض مجلسك ، وانتهى حديثه معك ، وقام كل إلى ما قدر له ، وخرج إلى زحمة الدنيا وميدان العمل ، وجدته مرتكبا لما كان ينقده ، آتيا من الرذائل ما كان يشكو منه ، ويتألم من أجله ، ويتباكى لحصوله ، حتى صارت أقوالنا وأعمالنا نقيضين ، واتسعت الهوة بينهما اتساعا كبيرا ، وأصبحنا نتكلم بلسان الملائكة ، ونعمل بروح الشياطين .

نشكو من تبرج المرأة وخلاعتها وخروجها على كل مألوف فى الأديان والتقاليد ، وتبجحها ومحاولتها الخروج عن طبيعتها ورسالتها .

فهل هذه المرأة الا أمنا أو أختنا أو بنتنا التى يستطيع كل منا بحكم قوامته الاسلامية عليها أن يصلح من شأنها ، ويردها عن غوايتها ، وينصح لها فى دينها ودنياها ، ويردعها عن اتباع الشياطين الذين يغرونها بمعسول القول ، وخادع الكلام .

ثم نشكو من الجيل الجديد الذى خرج على كريم التقاليد ، واتبع كل شيطان مريد ، وراح يسير وراء شهواته وأهوائه ، وأصبح يهتم بأغنيات الماجنين والماجنات أكثر من اهتمامه بمعرفة أحكام الاسلام ، والاستماع لحديث الدين .

مكتبتنا العربية

فمن هم هؤلاء الذين يكونون هذا الجيل ؟!!

أليسوا هم أولادنا من بنات و بنين ، جعلهم الله أمانة فى أيدينا ، و استرعانا عليهم . وكل راع مسئول.

ثم نشكو ونشكو . . . . حتى أصبحنا نشكو فى كل مجلس ، ومن كل جانب، وحتى صارت الشكوى نشيدا حزينا نردده فى بدء كل حديث وغايته ، وفى مطلع كل نهار ونهايته.

يا هؤلاء . . . رويدكم رويدكم ! !ومهلا مهلا ! ! . . .

ممن تشكون ؟ ! أتشكون أنفسكم إلى غيركم ؟ ! .

ليشك كل نفسه إلى نفسه ، وليحتكم إلى ضميره الدينى، وليحاسب نفسه على ما قدم وأخر ،وليبدأ بها فى معركة الإصلاح. فأذا ما أصلحها كان له أن يسهم فى إصلاح غيره ، بل إنه إذا أصلح نفسه فقد أصلح غيره : بالأسوة الحسنة ، و القدوة الصالحة المصلحة، و السيرة العطرة ، و التأثير النفسى ،و الايحاء الصادق.

ليجفف كل منكم دمعه الكاذب ، وليغلق فمه، وليفتح قلبه ، وليحسن عمله ، وليعلم أنه لبنة فى هذا المجتمع الضخم : إذا حسن معدنها أدت واجبها ، وحفظت البناء وزادته تماسكا ، و إذا كانت هشة لينة اضطرب البناء وسقط .

يها الشاكون المتباكون ! !

لقد أتخمنا بكثرة الكلام ، وطال انتظارنا لدور العمل ، فاجعلوا من أنفسكم وأعمالكم صورة حية لما تنادون به من مبادئ ، وما تهدفون إليه من أغراض ونتائج ، وحدثوا الناس بأفعالكم قبل أقوالكم ،واعلموا أن الدعوة التى لايؤمن بها صاحبها ، ولايعمل بها فى ذات نفسه، مردودة عليه ، وغير مقبولة منه ، ولن يبلغ كلام صاحبها من سامعه أو قارئه أكثر من أن يدخل فى أذن ليخرج من الأخرى .

روضوا أنفسكم على الأخلاق الفاضلة ، وخذوها بالآداب الاسلامية ، وعودوها الطاعة ، حتى تكون نموذجا ناطقا ، وضوءا هاديا، لمن يقتدى بكم من أبناء وأتباع ، ولا تجعلوا من حياتكم معرضا للمتناقضات : لسان يقول ، وعمل يكذّب . يدعو بعضهم

مكتبتنا العربية

إلى حماية الفضيلة، وهو الجانى عليها ، و يطالب إصلاح أبواب الناس وقد انخلع بابه ، ورتق أثوابهم وقد تمزق جلبابه .

هذا رسولنا و إمامنا : محمد بن عبد الله ، قد وصل إلى غايته ، و بلغ هدفه ، وحقق معجزته الكبرى فى إخراج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، بالقدوة العملية ، والعمل الصالح فى السر والعلن ، والمنشط والمكره ، والرضا والغضب . كان — عليه الصلاة والسلام — يبلغ رسالة ربه ، و يتلو من آيات الله والحكمة ، و يدعو إلى مكارم الأخلاق التى بعث ليتممها ، ثم هو — قبل ذلك و بعد ذلك — قدوة صالحة ، ومثل أعلى : فى سيرته المثلى ، وعمله الكريم ، فى جهاده وتضحيته ، وعدله ورحمته ، وأمانته وصدقه ، وعطفه و بره ، ونصرته للحق ، وعدائه للباطل ، وشدته على المنافقين والمرائين الذين إذا لقوكم قالوا آمنا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

لنقرأ جميعا قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ولنتدبر قوله سبحانه : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ثم قوله جل وعلا : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » .

ثم لنستمع إلى الأحنف بن قيس إذ يقول : « لا خير فى قول إلا بفعل ، ولا فى مال إلا بجود ، ولا فى صديق إلا بوفاء ، ولا فى فقه إلا بورع ، ولا فى صدق إلا بنية ... » .

أيها المتباكون :

كلنا حواريون فمن يهوذا ؟! ، وكلكم يبكى فمن سرق المصحف ؟! .

ليبدأ كل منكم بنفسه ، ليبدأ كل بنفسه ، ولأبدأ بنفسى ما .

زكريا البرى

مكتبتنا العربية

الجامع الأزهر

كثر الحديث عن الأزهر الشريف فى هذه الأيام ، وطالب بعض أصحاب الفكر بأدخال ما تفرضه الحضارة الحديثة، بنظامها ، وعلومها، وفنونها ، ولغاتها ،على دراساته ومناهجه، حتى يرقى ويساير فى رقيه مطالب العصر، ويندمج فى حياة تفرضها العلوم الحديثة والابحاث المبتكرة ، فيساير جامعات العالم .

وانبرى البعض الآخر يدافع عن الأزهر ، ويؤكد أن أى تطور أو تغيير إنما سيأتى على حساب الدين واللغة ، وسينقل الأزهر من مكانته كجامعة شرقية دينية مفردة ، الى جامعة عادية كباقى الجامعات .

ولما كنت على يقين بأن الحديث عن الأزهر لا يخص فئة دون أخرى، لما له من مكانة رفيعة ، فى نفوس الشرقيين عامة ، وفى نفوس المصريين خاصة ، طاب لى أن أذكر ما أعلمه ويعلمه أغلب الناس عن تاريخ الأزهر ، ومنه يستبين أن الأزهر لم يكن حصنا للدين واللغة فحسب ، بل كان رائدا ومعلما لجامعات العالم .

بنى الجامع الأزهر فى العام الأول من الحكم الفاطمى ، بناه القائد جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، بعد إنشاء مدينة القاهرة ، كعاصمة جديدة للبلاد ، وافتتح للعبادة فى عام (٣٥٨ هـ ٩٧٢ م) ، واتخذ مركزا للثقافة الشيعية ، التى كان يدين بها الفاطميون . وقد ذكر المقريزى أن الخليفة العزيز هو أول من حول الأزهر من مسجد تقام فيه الصلاة الى جامعة تدرس فيها العلوم ـ ثم تطور سريعا وأصبح الجامع الأزهر ودار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله ، مركزا علميا أكاديميا لدراسة الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والجغرافيا والفلسفة والأدب بجانب علوم الدين .

وفى عام ٩٨٩ ميلادية أنشأ فيه العز[illegible] تضم خمسة وثلاثين طالبا ، كما منحه هو والحاكم بأمر الله ومن تبعهما من الفاط[illegible] ، بين والمماليك الهبات والعطايا وأوقفوا عليه الأوقاف .

ثم تتابعت على الأزهر عهود وعـ[illegible] فيها ويعلو ، ويعتبر عصر المماليك

مكتبتنا العربية

العصر الذهبي للأزهر، حيث انضم إليه كثيرون من العلماء الذين وفدوا مهاجرين من الاندلس لأفولها وترك المسلمين والعرب لها ، و بغداد بعد هجوم المغول عليها .

وعلى نمط نظام الدراسة في الجامع الأزهر كانت تدرس العلوم في بغداد وفي الأندلس، حيث ازدهرت العلوم فيهما، وبلغت أوجها في بغداد في عهد الرشيد والمأمون ومن تبعهما بعد ذلك من الخلفاء العباسيين، وفي قرطبة عاصمة الأندلس في عهد الخليفة الأموي الحكم ابن الناصر ومن تبعه بعد ذلك من الخلفاء الأمويين وملوك الطوائف . وكانت المدارس في عهدهم عامرة بالتلاميذ ، والمعاهد العلمية مكتظة بالطلبة من سائر الأقطار .

ولقد برز من علماء العرب الذين يدين لهم عصرنا الحديث بكثير من علمه وتقدمه ورقيه كثير ، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، خالد بن يزيد، وجابر بن حيان، في الكيمياء ، ومنهم أبو بكر محمد زكريا المعروف بالرازي في الطب والكيمياء ، وابن سينا في العلوم والطب . وفي مصر : ابن الهيثم في الرياضيات والبصريات ، وفي الأندلس : ابن باجه وابن رشد في الطب والفلسفة، وابن جابر في الرياضيات ، و ينسب إليه ابتكار علم الجبر ، وابن زهر في الطب ، وابن فرناس في الرياضيات ، وابن زيدون في الأدب، وابن حزم في الفقه ، وابن خلدون في التاريخ والأدب ، والشاطبي في القراءات ، وغيرهم الكثير من العلماء الأعلام .

وكان يحضر حلقات الدرس كثير من الطلاب الفرنجة ، كما كان البابا سلفستر الثاني والملك ليون الثمين أحد ملوك الإسبان من خريجي جامعة قرطبة، وقد نقل الطلاب الفرنجة هذه الأنظمة التعليمية وفكرة الجامعة إلى بلادهم ، كما جاء في رسالة « كيتاني » الكاتب الطلياني الشهير عن نصيب الإسلام في تدرج المدنية، حيث ذكر أنهم وضعوا بمعاونة العلماء العرب أول جامعة نشأت في أوروبا، وهي جامعة سالرمو بايطاليا في أوائل القرن الحادي عشر، ثم بولونيا بايطاليا في القرن الحادي عشر ، ثم تتابع بعد ذلك إنشاء الجامعات في مختلف الدول، نذكر منها مونبلييه بفرنسا في أوائل القرن الثاني عشر، وباريس في منتصف القرن الثاني عشر ، وجامعة اكسفورد في أواخر القرن الثاني عشر ، وجامعة كمبردج في أوائل القرن الثالث عشر ، وجامعة سالامانكو بأسبانيا في منتصف القرن الثالث عشر ، وهايدلبرج بألمانيا في القرن الرابع عشر ، وأپسالا بالسويد في القرن الخامس عشر.

وعن هذه جميعا أخذت بقية جامعات العالم .

مكتبتنا العربية

فالجامع الأزهر – إذن – من أوائل الجامعات المعروفة حاليا فى العالم ، فهو رائد المعرفة الأول ، عنه أخذت بقية الجامعات الحديثة ، وعلى نمطه أقيمت وأسست . بل لا تزال بعض نظم الأزهر وطريقة تدريسه معمولا بها فى أرقى الجامعات الأجنبية .

ففى بعض الجامعات الأمريكية يدرس أكثر من أستاذ نفس المادةالواحدة فى وقت واحد ، وللطالب أن يحضرها على من يشاء من هؤلاء الأساتذة ، وهو نظام التدريس فى الأزهر قديما .

وفى بعض الجامعات ، ومنها جامعة اكسفورد بانجلترا ، يتفرغ بعض الأساتذة للبحث طوال حياتهم ، وقد أعدت لهم الجامعات كليات سكنية تضمهم ، وهو نظام كان معروفا فى الأزهر إلى عهد قريب .

ونظام التحضير للماجستير والدكتوراه ، المعمول به فى الجامعات الحديثة ، منقول عن نظام التعيين فى الأزهر ، حيث يختار الطالب – أو يختار له أساتذته – موضوعا و يعطى الوقت الكافى لدراسته ، ثم يقوم بشرحه فى حضور جميع الأساتذة المختصين الذين يناقشونه فيه .

ومن نظام حلقات الطلاب الذين كانوا يلتفون بأستاذهم وهو جالس على كرسيه ، فى صحن الأزهر ، يصيخون السمع و يتناقشون فيما ألقى إليهم ، و يستفسرون عما أغلق عليهم فهمه ، أخذ لقب أستاذ ذى كرسى طريقه إلى الجامعات جميعا .

ومن نظم الأزهر البارزة فى بعض هذه الجامعات نظم الكليات فى جامعتى كمبردج وأكسفورد ونظم الأندية فى جامعة أوبسالا ، فهى عبارة عن مساكن مهيأة مخصصة لسكن الطلبة مع تزويدها بمكتبات خاصة ، تماما كما فى أروقة الأزهر .

هذه بعض نظم الأزهر التى لا يزال معمولا بها فى عصرنا الحديث ، وهذا دليل بالغ على أن الأزهر هو الشعلة الأولى التى أنارت ظلام العصور ، بل لقد بلغ إعجاب الغربيين بالأزهر أن نقلوا عنه حتى هندسته المعمارية ، فمبنى جامعتى اكسفورد وكمبردج يشابه إلى حد كبير مبنى الجامع الأزهر بصحنه الفسيح المتسع ، حيث يرى الداخل إلى إحدى كلياتهما الصحن المتسع تحيط به الكنيسة والمبانى .

مكتبتنا العربية

ومن الطريف أن الغربيين لم ينقلوا عن الأزهر الشريف دراساته وطريقة التدريس والتعيين ونظام الأروقة وكرسى الأستاذية فقط ، بل نقلوا فيما نقلوا الملابس أيضا ، وما « الروب والكاب » وهو الزى الجامعى التقليدى إلا «الفرجية والعمامة» مع بعض التغيير الطفيف .

من ذلك نرى أن الجامعات أخذت عن الأزهر تعاليمه وتقاليده ونظامه ، ونقلت عنه جده وتقدمه . فالذين ينادون بأن يساير الأزهر الزمن ويتابع العصور فى تطورها ، لا شك أن دافعهم إلى ذلك ، ذلك التاريخ المجيد .

ومن حق الأزهر أن يستعيد ماضيه ويأخذ مكانه الرفيع الشامخ ، فيبقى أبدا منارا للشرق وجامعات العالم ، فدراسة الأزهر للعلوم الحديثة لم تتوقف إلا بعد الغزو التركى بسبب ما لحق البلاد من شدائد وإذلال ، فبدأ عصره الزاهر فى الذبول ، شأنه كل مقومات الحياة التى تعرضت لجبروت الغاصب وسطوة المحتل .

ولا أنكر أن الأزهر ـ فى العشرين السنة الماضية ـ أدخل الكثير على مناهجه ونظم التدريس فيه ، وأنه خطا فى تطوره الحديث خطوات ، لا أقول قليلة ولكنها وئيدة ، فيها الكثير من وقار الشيوخ وحكمتهم ، وحبذا لو اتسعت الخطى وبعد المدى ، حتى نرى الأزهر الشريف قريبا كما يحب أن يراه كل شرقى ومصرى ، متصدرا الجامعات الحديثة ، فى دراسات الدين واللغات والفلسفة والأدب وغيرها من العلوم المرتبطة بها ، والواجب توفرها لتحقيق الهدف الأسمى من دراساته .

دكتور عباس فتحى الهلالى
أستاذ بجامعة الإسكندرية

جبابرة الأرض

لينظر جبابرة الأرض إلى مواطئ أقدامهم ، لينظروا إلى الشعوب التى يقهرونها ، والمبادئ التى يزدرونها ، فأن من ثمة سوف تخرج القوة التى تصرعهم .

أنا تول فرانس

مكتبتنا العربية

عبر الأولين من قصص القرآن الكريم :

ابراهيم والوحدانية

(وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة، انى أراك وقومك فى ضلال مبين، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين) .

كان الملأ من قوم ابراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب ، لأنهم وجدوا علاقة ظاهرة بين حركات سيرها وتقلبها فى بروجها وبين اختلاف الفصول وما يترتب عليه من تأثير مشهود فى سنة الحياة والأحياء .

ولما كانت هذه الكواكب محيرة فى السماء بين الظهور والاختفاء فقد عن على نفوسهم ، أو نبا عن عقولهم، أن تغيب عن أبصارهم آلهتهم المعبودة، فرمزوا إليها باقامة أصنام لهم على الأرض يعكفون على عبادتها هى أيضا .

نظر ابراهيم لهذه الأصنام ـ وهى حجارة بليدة لا تعى ولا تنطق ـ فلم يجد من الحجة فى الاقناع بسخفها وبطلانها ، إلا أن يبطش بها صنما صنما ، (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، مالكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضربا باليمين) حتى جعلهم قطعا متناثرة وجذاذا مفرقا ، وكان أبوه آزر ممن يشارك فى عبادة هذه الأصنام ، فناداه بأندى صوت وأشمله على اقناع : أتتخذ أصناما آلهة (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ، يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فأعرض أبوه عن دعوته (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ان ابراهيم لأواه حليم) . ونتريث هنا لنلتفت إلى هذه الظاهرة المتكررة فى قدر الله : وهى ظهور الكفر من آزر أبى ابراهيم عليه السلام ومن ابن نوح عليه السلام ، وخيانة امرأة لوط ، وامرأة نوح ، وكانتا تحت عبدين صالحين ، وايمان

مكتبتنا العربية

امرأة فرعون ، وكانت تحت طاغية يدعى الألوهية ، فلماذا تأكد فى قدر الله وسنته فى خلقه ، هذه المفارقات المحركة للفكر والشعور ؟. ونرى أن ذلك آية على أن كل إنسان مسئول عن عمله ، مستقل بحسابه ، لم يجعل الله للنسبة الشريفة ولا للتبعية الخسيسة فى ذلك عملا ولا تأثيرا (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) .

ونظر ثانيا إلى الكواكب هذه النيرات التى تدهش العقل باشراقها ونظام سيرها ، فلم يهجمها بنفس الجياش الذى هاجم به الأصنام — وهى كما قلنا أحجار بليدة يتحدى بداهة الفطرة الظن بألهيتها — بل سلك فى إبطال عبادة الكواكب مسلك المناظرة القاطعة الحكيمة .

فمضى يستدرج خصومه فى المناظرة من مقام الى مقام ، حتى انتهى بهم الى مقام يتعين فيه التسليم أو يثبت فيه الأفحام .

«وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء » وكان الله قد تعهد إبراهيم من قبل فأراه ملكوت السموات والأرض فوجد فيها من مظاهر الإبداع ، وروعة المشاهد ، وإحكام النظام ، ما يقطع بوجود الإله الواحد ، الذى أبدع صنعها ، وأحسن خلقها ، ودمغ كل موجود فيها بطابع الوحدانية والإرادة المستقلة . أظلم عليه الليل فرأى كوكبا — قيل هو الزهرة — فقال — استدراجا لقومه ، وحكاية لمعتقدهم — : هذا ربى — فلما أفل وغاب قال : لا أحب الآفلين ، لأن أخص صفات الله ألا تغلبه أحداث الكون فتغيره أو تغيبه ، وإلا كان واحدا من جنسها ، فلا يعقل أن يكون لها إلها ، ثم رأى القمر بازغا — طالعا — فى ليلة ثانية ، فقال أيضا — على سبيل الاستدراج والحكاية — : هذا ربى — فلما أفل هو الآخر ، وكان أظهر مكانا من الكوكب السابق ها له — فيما يبدى لقومه — هذا الأفول ، فلوح لهم بأن عبادة هذا الكوكب ضلال لا ينجى من التورط فى مباشرتها إلا هداية رب العالمين .

فلما أراهم أن آفة الليل سقطت فى الاختبار توجه معهم إلى الشمس فقال : « هذا ربى هذا أكبر » فلما أفلت مع كبر جرمها وتعاظم شعاعها صارحهم بالحقيقة التى أرادها من قبل ولتى قد حان وقت التصريح بها ، فوصفهم بالشرك ، وجابههم بأنه برىء مما يشركون ، وبأنه قد صرف عبادته وطاعته للاله القادر الذى خلق السموات والأرض متجافيا عن كل معبود سواه ، متبرئا من كل شريك له فى وهم الجاهلين وضلالة الضالين . إذا سقطت

مكتبتنا العربية

هذه الآلهة فى الاختبار واحدا أثر واحد وقام الدليل المحسوس على أنها مقهورة لا قاهرة ، ومسخرة خاضعة لامدبرة مستقلة ، فقد وجب على عبادها فى شرعة المنطق والعقل أن يتخلوا عن عبادتها ، ويلتمسوا لهم إلها غيرها : إلها تكون قدرته وتدبيره من وراء الشمس والقمر والأفلاك جميعا ، إلها ينطق ملكوت السموات والأرض بوحدانية ذاته وصفاته ، وله الخلق والأمر ، وهو الإله الحق الذى أراده إبراهيم عليه السلام ، واتخذ تلك المحاورة سبيلا لتوجيه قومه ـ عقولهم وألبابهم ـ إليه بالحجة المقنعة والدليل القاطع .

* * *

أساس سعادة البشر ووقاية نفوسهم من عوامل الخوف والقلق والتوجس ، وهى الأمراض التى استشرى فتكها بنفوس الناس تحت وطأة المسئوليات الكثيرة التى فرضتها أوضاع المدنية المعاصرة أمران : الإيمان بالله ، وتوحيد ذاته وصفاته والتوجه له ، فالإيمان بالله ، هو الضمان الأقوى الذى تركن إليه النفس المؤمنة وهى تصارع الحياة بصبر لاينفد ، وتفاؤل ممدود الضياء ، لا تخشى فى معاركها الكبرى هزيمة ، ولا تتوقع عجزا « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » . « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » ، « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور »

وتوحيد ذات الله وإفراد التوجه له دون سائر الكائنات ، هو أعظم عوامل الثقة بالنفس وبالحياة ، من حيث هو أعظم الأسباب لتحرير النفس البشرية من مأساة الصراع لأى مخلوق فى موضع رغبة أو رهبة ، وصيانة العقل من سلطان الخرافات والأباطيل التى تعتبر لغير الواحد القهار تدخلا فى أحداث الكون ووقائع الحياة ، لأن شيئا من ذلك يعتبر منابذا لكمال التوحيد وصدق المعرفة بمقام الربوبية « قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه » . « أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد » . « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

كذلك كانت العبرة من حوار إبراهيم مع قومه وما يمتد إليه أثرها العميق فى الحياة وفى الأنفس ، وما أجلها من عبرة تزيد نفوسنا إيقانا وتثبيتا . . ما

محمد سعاد جلال

مكتبتنا العربية

خصائص الأدب

معناها وإقليميتها

يتسم الأدب فى كل عصر بسمات وخصائص ، تميزه عما عداه من آداب العصور الأخرى . ويكتسب هذه السمات والخصائص من روح العصر الذى يعيش فيه ويصوره . والأدب يتأثر ـ كما هى طبيعته ـ ببيئته وبنزعات العصر واتجاهه فى كافة نواحى الحياة .

هذه النزعات والاتجاهات : اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو لغوية أو لفظية أو غير ذلك ، تتفاعل معا تفاعلا مركبا فيه تحلل وامتزاج فتكوين جديد ، له أثره فى نفوس الأدباء ، فيلهمون أدبهم على نسق هذا التكوين وغراره ، ومن هنا ترى لكل أدب سمات وخصائص تميزه عما عداه ، ونتيجة مباشرة لاختلاف عوامل البيئة وعاداتها وأمزجتها وأمزجة الأدباء فى كل عصر .

وهذه السمات والخصائص مجتمعة ، هى التى تميز أدب عصر عما عداه ، وتكسبه أقليميته .

وقد قلنا « مجتمعة » لأننا نعتقد أنه ما من خصوصية بمفردها لأدب عصر ـ مهما بدت مقصورة عليه ـ إلا لها نظير فى أدب عصر غيره ، نتيجة لتشابه بعض مظاهر العيش واستمرار مقومات الشخصية القومية .

ولكن الذى لا يستطاع لأدب أى عصر أن يماثل فيه أدب عصر آخر ، هو مجموع خصائصه وسماته ، والأدب بهذا المجموع يكتسب « شخصيته » بين الآداب الأخرى .

ويطرد تناسب شخصية الأدب مع اطراد تعدد خصائصه وتنوعها وتحولها وقوة بروزها وفنيتها وسمو هذه النزعة ، كما تطرد قيمتها باطراد تجاوب مجموع هذه الخصائص مع ظروف حياة هذا الأدب وبيئاته ، وباطراد دلالتها على مزاج الأدباء وأذواقهم .

مكتبتنا العربية

والخصائص هى القواعد الفنية والصفات الأسلوبية التى تروق أذواق أدباء أحد العصور وتستطيبها أمزجتهم ، فيلتزمونها حينما يقصدون لصوغ أساليبهم فكرة وتصويرا .

وهذه الأذواق والأمزجة هى التى كونتها لهم وهذبتها ووجهتها ألوان بيئتهم التى عاشوا فيها . ومن هنا نشعر بمقدار أثر هذه البيئات فى وجود تلك الخصائص ونشأتها وبروزها ، وفى إكسابها ما تتمتع به من قوة وإشراق .

فسجع الكهان فى الجاهلية نشأ بسبب انتشار الوثنية وسيادة الكهان والرغبة فى إيهام العامة أن هناك معميات تخفى على فطنتها وتغيب عن ذكائها وتلطف عن حسها . وكان بالعامة استعداد لقبول هذا الوضع لاتساقه مع عقائدها . ومن هنا نشأ السجع المتكلف المبهم ذو الرجم بالغيب ، وفيه تأثير بالغ ، تخضع له النفوس ، وتستكين الأفئدة ، وتستسلم الأحلام .

والبادية بغلظتها وقسوتها وخشونتها نضحت على ألفاظ أدبائها غرابة وعنجهية . ولكنها من ناحية أخرى طبعتهم بطابع الشهامة والمروءة وحب الإلف وتذكره ـ لقلة الألاف وتحول المنازل ـ . ومن هنا ظهرت المدائح والفخريات والغزليات فى أدب الجاهلية .

وقد ذاعت الثقافة الدينية القومية فى عصر النبوة والراشدين ، وسمقت دعائمها على أساس من القرآن الكريم والحديث ، فرقت الأساليب برقة النفوس ، وصفا القول بصفاء الأرواح ، وتهذبت العبارات بتهذيب العقول ، وأخذ الخطباء يدعون الناس إلى الجهاد فى سبيل الله وسبيل دينه . ويحثونهم على التمسك بالفضيلة فى وضوح لا يشوهه لبس ، وفى قوة لا يعتريها وهن ، لهذا هجر سجع الكهان الزائف ، ولم يبق منه إلا ما يكمل المعنى ، ويزيد موسيقا اللفظ تأثيرا فى النفوس .

ولما دونت الدواوين ، أخذت طبقات من الكتاب فى الظهور ، ونهضت كتابة الرسائل التى كانت فى أول أمرها مقصورة على لباب المعنى وجوهره ، ثم لما اتسعت رقعة الدولة فى عصر بنى أمية أخذت الرسائل تطول تناسبا مع سعة الدولة ونهوضها إلى ضبط أمورها ، وتنوعت فى الكتابة صور بدئها وختمها ، تبعا لتنوع أغراضها . وهكذا . .

مكتبتنا العربية

ومـا امتزجت الثقافات فى العصر العباسى ، وأقبل الناس عليها ، وقوى اختلاط العرب بالفرس وغيرهم ، وأخذت الدولة زخرفها وازينت ، وأقبل النـاس على تلمس الجمـال ، وطلبوا الأناقة فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، وبدأ الترف بأعلامه على مجالس العباسيين ومحافلهم ، برزت الألوان البديعية إلى الصفوف الأولى بين دعائم الأساليب ، يصاحبها عمق الفكر وشمول النظرة وسلامة النطق وقوة التعليل . وعلا نجم المجاز بأنواعه ، والتشبيه بشتى ضروبه ، وعاونا معا على تسجيل صور جديدة مبتكرة مما جاد به الخيال المهذب .

ولمـا فتح العرب الأندلس ووجد شعراؤهم فيها ما لم يجدوه فى جزيرتهم من الخمـائل الجميلة ، والأدواح الظليلة ، والأنهار الروية ، والسهول الممرعة ، والمروج المطرزة بألوان الزهر ، صفت أذهانهم ، وسما وجدانهم ، وعذب بيانهم ، ووسعوا دائرة الأدب ، وهذبوا الشعر فتأنقوا فى ألفاظه ، وتنوقوا فى معانيه ودبجوه تدبيج الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر ، ونوعوا قوافيه وتفننوا فى خياله .

ولمـا نهضت مصر نهضتها الحديثة وتلاقت فيها الثقافات المختلفة القديمة والجديدة ، والشرقية والغربية ، تزاحمت المعانى على أبواب العقول ، فاسترسلت الأقلام ، وانطلقت العبارات ، ولم يعد هناك فتون بالموسيقية اللفظية التى قوامها السجع والجناس ، ولا جنون بالطباق أو المقـابلة أو التضمين أو الاقتباس ، أو حنين إلى التورية والاستخدام . فقد أخـذت الحياة الجادة بنفوس الأدباء ، فلم تدع لهم فرصة يذوقون فيها التراكيب ، ويتفقون الأساليب ، ويبثون الدعابة ، ويثيرون النكتة . ولا سيما أنهم يرون أن عهد المظاهر والبهارج قد زال وانقضى . وإن كنا نعتقد أنهم بذلك قد باعدوا بينهم وبين أذواق العامة ، ولو إلى حد ما .

* * *

هذه جملة من المؤثرات الأدبية ونتائجها من خصائص الأدب فى بعض العصور .

وهـذه الخصائص تتغير فى كل عصر تبعا لتغير مؤثراته ، وكثيرا ما ترى عصرين — مثلا — يتشابهان فى بعض خصائصهما الأدبية ، بسبب تشابه بعض مؤثراتهما وتماثلهما فى القدرة على إحـداث نتيجة معينة . غير أنه من العسير أن يتشابه عصران تشابها تاما فى أدبهما ، وفى خصائص هـذين الأدبين . وتلك نتيجة حتمية لاختلاف كل منهما فى مجموع بيئاته ومجموع مؤثراته .

مكتبتنا العربية

ويكتسب الأدب — ولو كان طارئا — صفة الإقليمية بتوطنه فى المصر . ولكن لا يكفى هذا التوطن وحده ، بل لا بد للأدب مع تغير بيئته الطبيعية الأولى من تغير بقية أنواع البيئات ذات الأثر فيه : كالبيئات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وما إلى ذلك .

وكلما تشابه أدبا عصرين فى ألوان بيئاتهما ، كان ذلك عائقا دون بروز الإقليمية فيهما بروز فيه قوة واستقلال . أو بمعنى آخر فيه « شخصية » .

* * *

هذا إلى أنه ليس من الضرورى أن تتضح كل خصائص الأدب فى عصر ما فى أدب كل أديب فيه ، بل ولا فى أدب كل أديب من أدباء حلبة واحدة من حلباته ، لأن الأدباء يختلف بعضهم عن بعض باختلاف حياتهم الخاصة وباختلاف أذواقهم وطبائعهم . وهذه الاختلافات ذات أثر بين فى تنوع خصائص كل أديب عن غيره ، وإلا أصبحوا جميعا نسخا مكررة لأصل واحد .

ولكنك ترى — على الرغم من هذه الاختلافات — أن هناك خصائص أدبية تنتظم أدبهم جميعا ، أو على الأقل تغلب على أدبهم ، وتلون أدب أكثرهم ، فهذه الخصائص الغالبة هى أهم ما نعتبره فى أحد العصور خصائص لأدبه .

فنحن حينما نتحدث عن خصائص الأدب فى عصر ما لا ننظر نظرة فردية بل نظرة شاملة عامة ، بمعنى أننا لا ننظر فى خصائص كل أديب على حدة ، بل نستقرئ الخصائص المشتركة بين أدبائه جميعا ، وإن كنا لا نغفل قط عن خصائص الأدباء الأخرى .

ويدهى أن يكون لكل أديب فى عصر ما خصائص قد يفارق بها أديبا آخر معاصرا له ، ولا يصعب تعليل هذا باختلاف الطبائع والثقافة والدوافع الاخرى .

فمثلا كان منشئو ديوان الانشاء فى مصر فى عهد المماليك ومن لف لفهم من كتاب الرسائل ، يلتزمون — أو كادوا يلتزمون — السجع واطالة الفقرات ، وكان هذا الالتزام أحد التقاليد الأسلوبية المرعية فى الديوان ، وبيناترى رسائلهم تفيض بذلك وتموج بالاخيلة الشعرية والمبالغات وإجادة التصوير ، اذ ترى نصائح الفقهاء المعاصرين ومواعظهم لم تعبأ

مكتبتنا العربية

بهذه الالتزامات، وذلك لأنها غلبت عليها الفكرة والدقة فى إبراز الرأى قبل العناية بموسيقية الألفاظ، وتوافق القرائن، وازدواج التراكيب.

وكانت التورية — مثلا — إحدى دعائم الأسلوب عند جمال الدين بن نباتة المصرى فى شعره وفى نثره، بل هو الذى تزعم طريقتها، وحمل رايتها بعد القاضى الفاضل. ومرجع ذلك — فيما نعتقد — عكوفه على قراءة آثار الفاضل وتشبع مزاجه منها، كما كان شعبى النشأة والثقافة، لذلك كان شعبى الشعور، ومن هنا نهضت خصائص أساليب العامة فى شعره ونثره من فكاهة ونكتة وتورية.

وقد نبابه مزاجه عن الاغراق فى الجناس، لأنه «نوع ردىء أو محسن لفظى لا يتصل بتحسين المعنى» كما يقول ابن حجة، فكان يقال منه أو يخرجه مخرج التورية. وبينما كان يفعل ذلك اذ كان معاصره صلاح الدين الصفدى مغرقا فى الجناس، فتكلفه تكلفا شديدا فى شعره ونثره.

لكل أديب إذن خصائص قد يفارق بها سواه من أدباء عصره، ولكننا حينما نؤرخ أدب أحد العصور ينبغى لنا — كما أشرنا — أن نعمم النظرة، حتى تبدو لأعيننا الخصائص العامة التى تنتظم جميع الأدباء فى ذلك العصر، وهى التى تكسب أدبه «أقليميته» وان كنا لا نغفل الخصائص الفردية ما

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

محمود رزق سليم
أستاذ الأدب المساعد فى كلية اللغة العربية

شعر الاشراف

قال معاوية رضى الله عنه لشاعر بنى أمية عبد الرحمن بن الحكم:

إنك قد لهجت بالشعر، فاياك والتشبيب بالنساء فتعرّ شريفة، والهجاء فتهجن كريما أو تثير لئيما. وإياك والمدح فهو كسب الأنذال. ولكن افخر بمآثر قومك، وقل من الأمثال ماتزين به نفسك، وتؤدب به غيرك. وإن لم تجد من المدح بدا فكن كالملك المرادى حين مدح بجمع بين نفسه والممدوح فقال:

احللت رحلى فى بنى ثعل إن الكريم للكريم محل

مكتبتنا العربية

ماذا يراد بالاسلام ؟!

من حين لحين تطالعنا الصحف بكلمات تتصل بالإسلام ومقدساته ، ولهذه الكلمات طابع واحد وإن اختلفت ميول أصحابها ، وبيئاتهم ، وثقافاتهم ، ذلك الطابع هو الجرأة البالغة على المقدسات الإسلامية ، والزراية الهازلة بأحكام هذا الدين ، والاستهانة المتعمدة بشعور المسلمين . وطبيعي أني لا أريد أن أحجر على حرية الرأى ، أو أستعدى على صاحب فكرة ، أوأرمى أحدا بما كان ينبغي أن يرمى به حين يعالج من الأمر مالا يحسن ، وإنما أريد أن أتساءل : ماذا يقصد هؤلاء بما يعمدون إليه من الإساءة إلى دين عجزت العقول الكبيرة أن تجد فيه منفذا لطعن صائب ، أو سبيلا إلى نقد صحيح ؟! .

وليس يمكن أن يقبل الراصد لهذه الأمور بسهولة أن تكون هذه القذائف الجوف التى تلق دون روية أو تعقل ، وليدة المصادفة ، أو نتيجة البحث عن الحقيقة ، أو ناشئة عن رغبة فى إصلاح ، أو عمل لخير المجتمع . وكيف نفسر موقف رجل نشأ فى بيئة دينية ، وظل فيها إلى أن أصبح كهلا ، وقد كان ـ على ما يبدو من سلوكه وأحاديثه ـ من المتعمقين فى دراسة الدين ، الحريصين على نشر تعاليمه ، وحث الناس على اتباعها ، كيف نفسر موقفه حين ينساق به الحديث فيسطر فى كتاب يقرؤه الآلاف من الناس ، ما يتعرض مع صريح الآيات القرآنية ، ثم لا يحاول أن يعرج على الآية التى ناقضها بتأويل أو تفسير أو فهم جديد لمعناها ومغزاها ؛ وإنما يلق حكمه ، وكأن القرآن لم يعرض له ، ولم يصرح فى آية من آياته المحكمة بما يخالفه .

يقول هذا الكاتب معلقا على قضية رجل ضرب زوجته تأديبا لها : « ان ضرب الزوجة وحشية » ويذهب يتحدث عن هذه الوحشية ، وعن حقوق الزوجة وكرامتها وتقدمها ، وأن ذلك كله يتنافى مع ضربها ، فليس من حق الرجل أن يمد يده إلى زوجته ، وإلا كان وحشا . ونقرأ هذه العبارات ونذهب نتلمس فى ثنايا الكتاب تأويلا جديدا لهذه الآية المحكمة التى ورد فيها إباحة أن يضرب الرجل زوجته فلا نجد لذلك أثرا ، ونحن نعرف الكاتب ، ونعرف أنه ممن يحفظون كتاب الله ، ونعرف أن الأصول الأولى للبحث العلمى السليم ، أن لا يسطر الباحث كلمة يرفض فيها بعض الأصول المعروفة التى

مكتبتنا العربية

اتفق عليها جماعة من العلماء ، حتى يلتمس لنفسه مخرجا من هـذا المتعارف المسلم به ، وحتى يكر على أقوال السابقين فيبطلها ، فما بالنا به يكتب ما يناقض صريح قوله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن . واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » ثم يمضى ، وكأن الله لم ينزل هذه الآية على نبيه ، وكأنها ليست فى القرآن الكريم ! ! .

ثم نرى آخرين من الذين لهم سابقة فى دراسة الشريعة الإسلامية ، يتطاولون على أحكامها ، ويتمسكون ببعض الشبه التى يوقنون كل اليقين بأن العلماء قد فرغوا من بحثها وتزييفها . ويذهبون يوهمون الناس أنهم أصحاب آراء جديدة ، كهذا الذى يكتب مقالا عنوانه : « الإسلام يحرم تعدد الزوجات » فيرتكب بهذا العنوان وحده أكبر مخالفة لأصول البحث العلمى ، ويمضى فى طريقه فلا يذكر دليلا واحدا صحيحا ، ولا يبدى رأيا سليما ، ولا يتعلق بشبهة إلا وهو يعرف أن العلماء ناقشوها وبهرجوها . وكهذا الذى يثير فتنة حول وجوب الصوم ، فاذا طلب إليه أن يؤيد قوله ولو بحجة شبه مقبولة عجز كل العجز ، ثم يمضى فى غيه حتى يحط من شأنه ومن شأن معهده الذى نشأ فيه ، ولا يزال ينتسب إليه .

* * *

اننا لا نستطيع أن نفسر هذه السقطات بأنها ناشئة عن حرية الرأى ، أو عن حب البحث ، فأول ما يتطلبه من يحترم عقله ورأيه وخلقه — إن طلع على الناس بجديد — أن يكون له من الحجة ، والبرهان ، ما يشهد بأنه يبغى الحقيقة : ولكننا — بالنسبة إلى هؤلاء إن أحسنا الظن — نرجح أنهم رأوا طه حسين فى مبدأ حياته ينكر على القرآن أن يتحدث عن ابراهيم واسماعيل ، ويرى أنه ما دام التاريخ لم يثبت وجودهما ، فليس يكفى للايمان بوجودهما أن يتحدث القرآن عنه ، قال هذا طه حسين ، فأحدث حول اسمه دويا . ثم جاء بعده من تلامذته من يقول بأن قصص القرآن ما هى إلا أساطير ، عمل فيها الخيال عمله الواضح القوى . فأثار — كذلك — ضجة حول اسمه . . . رأوا ذلك فتمكن فى نفوسهم أن هذه هى السبيل للصيت والشهرة ، وأنها طريق معبدة سهلة ، ما دامت لا تتطلب ممن يريد إلا أن ينكر لعقله ، ودينه ، وخلقه ، وليس هناك ما يردعه ولا ما يخشاه ، فالرأى العام لا يقلقه ، والقانون لا يتعرض له . بل ان هؤلاء يجدون من بعض الناس صدورا رحبة ، وتشجيعا وتأييدا ، واشادة بعبقرياتهم وشجاعتهم .

فاذا تجاوزنا هؤلاء ، رأينا من لا يحسن النطق بآية من القرآن يتحدث عن أحكام الدين ، ورأينا تجنيا وزراية بقوانين إسلامية ، أقل ما يجب لها من الاحترام أن يتحدث

مكتبتنا العربية

عنها بعبارة مهذبة ، وأسلوب خال من الطعن والتجريح . ونحن ـ مع أننا لا نقر أن يتعرض أحد لأحكام التوراة والانجيل بغير العبارة العلمية الهادئة ـ لا نرى من هؤلاء الكتاب أى تعرض ـ ولو من بعد ـ لشىء من هذه الأحكام . فكيف ساغ لهم أن يصفوا بعض الأحكام التى بذل الفقهاء الأولون ـ رحمهم الله ـ غاية وسعهم فى استنباطها من الأصول الأولى للاسلام .

* * *

وإنى أسوق هنا مثلا واحدا على هذه التهجمات غير الواعية : طالعتنا الصحف بأن جماعة من سيدات مصر رفعن طلبا إلى وزير العدل لاعادة النظر فى قوانين الزواج ، والطلاق ، والحضانة ، والطاعة ؛ وإلى هنا لا نجد غبارا على هذا الصنيع ، فمن حق كل إنسان أن يطلب ما يشاء ، والأمر بعد ذلك لأهل الاختصاص ، وأولى الأمر ، ينظرون فيما يصلح وما لا يصلح ، ولكن العيب فى الطريقة التى عرض بها هذا الطلب ، وفى التعليقات التى علقها الكتاب عليه . فهذا كاتب يصف الأحكام المعمول بها الآن ، وهى مأخوذة من مذهب السادة الأحناف ، وبعض المذاهب الأخرى ، وهى أحكام تستند إلى أدلة صحيحة من الدين ، ولكن الكاتب يقول : « ونحن نعتقد أنه آن الأوان للنظر فى تعديل القوانين العتيقة بحيث تنسجم مع روح العدالة ، والانسانية ، والتقدم ، التى تجعل المرأة ـ متى كانت فاضلة ـ جديرة بحضانة أطفالها ؛ وبالاتساق على يد البوليس كالمجرمة الأثيمة إلى رجل قد لا يستحق أن يكون زوجا ، أو أن يكون أبا ، أو أن يكون رجلا » .

* * *

ونحن نعلم أن الأدلة الشرعية التى أجمع عليها العلماء أربعة : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، ولكننا نظفر فى هذه الأيام بدليل خامس ، يجب أن نغتبط به ، ونصفق له ، ونضيفه إلى أدلتنا المعروفة فى الشريعة الإسلامية ، ذلك هو (اجماع النساء) . اى وربى ، فقد أصبح اجماع النساء من الأدلة التى يترتب عليها العمل بحكم من أحكام الدين . ومن كان فى شك مما أقول فليقرأ هذه العبارات التى نشرتها إحداهن فى بعض الصحف المحترمة فى هذا البلد ، قالت ـ لا فض الله فاها ـ : « إن هذه المطالب لا تمثل اتجاها فرديا بين نساء مصر ، بل إن سيدات البلاد العربية قد نادين بها ، فى مؤتمر الاتحاد النسائى ، الذى عقد فى القاهرة سنة ١٩٤٤ ، إذ قرر جعل الحضانة للأم إلى وقت المراهقة فى الجنسين ، ما دامت أهلا لها ، وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للاصلح من الوالدين » .

بخ .. بخ .. وعلى الرأس والعين ، وسمعا وطاعة ، وكيف يمكننا أن نخالف ، وقد

مكتبتنا العربية

قرر المؤتمر والمؤتمرات . وهذه أمور من شئون المرأة فيجب على المشرعين أن يرجعوا لها ، وأن يخضعوا لقولها ! ولا تحرمنا الكاتبة الفاضلة من تعليل لهذا الذى اتخذه المؤتمر ، والذى يجب أن نعمل به فتقول : « ثم ان هذه المطالب هى النتيجة المنطقية لتقدم وتطور المرأة فى بلادنا . بعد أن تعلمت وأصبحت تلعب دورا هاما فى حياة البلاد الانتاجية والعامة ، فلا بد من تطور القوانين حتى تتمشى مع تطور المرأة والتغييرات التى طرأت على حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية » .

صحيح ، صحيح . فتلك القوانين وضعت للمرأة فى صدر الإسلام ، وشتان بينها وبين المرأة فى القرن العشرين !

* * *

(وبعد) فلنا أن نتساءل : ماذا يراد بالإسلام ؟

وكيف أمكن لهذه الدعوات أن تجدلها جوا صالحا فى مصر زعيمة العالم الإسلامى ؟ وفى عهد الثورة المؤمنة ، التى تستمد أعمالها من روح الإسلام ، وتعمل جاهدة لإنجاح المؤتمر الإسلامى ؟ .

إن أخشى ما أخشاه أن يكون وراء ذلك أولئك الذين تحار بهم الثورة فى الميدان السياسى ، فيلجأون إلى بلبلة الأفكار فى الميدان الدينى ، بل أخشى أن يكون وراء ذلك الانجليز والأمريكان . ما

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

على العمارى

مقادير الامم بأخلاقها

قال الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه (روح الاشتراكية) :

« تشتمل العوامل السياسية على القوانين والنظم . ويعزو النظريون من جميع الأحزاب — ولا سيما الاشتراكيون — أهمية كبيرة إلى هذين العاملين لاعتقادهم أن سعادة الأمة بأنظمتها ، وأن مقاديرها تتغير بتغييرها ، وهم بذلك على غير رأى بعض المفكرين الذين يعتقدون أن تأثير الأنظمة ضئيل جدا ، وأن مقادير الأمم بأخلاقها ، أى بروح أفرادها » .

وفى جامعاتنا المصرية أساتذة يلقنون قادة الفكر المصرى فى المستقبل أن كلا المذهبين كذب ، فمقادير الأمم ليست بالقوانين ولا بالأخلاق ، بل بالتحلل من القوانين والأخلاق . هذه هى الوجودية فيما زعموا .

مكتبتنا العربية

الحديث عن السيرة

السيرة النبوية بمعناها الواسع تشمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان فيها من أقوال وأعمال وإقرار ، وتشمل حياة صحابته الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين ، وما كان لهم من جهاد ونضال فى سبيل القرآن والملة الغراء ، وتشمل حياة التابعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين ؛ فهذا كله تشمله كلمة « السيرة النبوية » بمعناها العام الواسع ، لأن الإمام فيها والقائد لها والعلم المبرز من بين أعلامها هو محمد رسول الله عليه صلوات الله ، وكلهم من رسول الله ملتمس طريق الهدى وسبيل الرشاد ، فلا غرابة إذا نسبت السيرة إليه ، وإن امتدت فى الزمان عهودا بعد عهود . وعصورا فى إثر عصور . . .

وإنه لمن الخير لنا فى ديننا وفى أنفسنا وفى مجتمعاتنا أن نتحدث عن السيرة النبوية فى ظروفها الملائمة ومناسباتها الموائمة . بل من الخير أن نصطنع هذه المناسبات إذا وجدنا فى اصطناعها خيرا وفائدة ؛ وذلك لأن السيرة قدوة وتاريخ وتفسير وتطبيق .

نعم إن السيرة قدوة ، إذ أن صاحب هذه السيرة الأعظم محمدا صلى الله عليه وسلم يبدو فى طليعة رجالها بأخلاقه العالية ونفسه الصافية وجهاده العظيم وبلائه الحسن فى سبيل القرآن والدين ؛ وفى حياته من أضرب القدوة ونماذج الأسوة ما يعد خير مهذب ومؤدب للأجيال بعد الأجيال .

وكذلك نرى فى سيرة صحابته وأتباعه هذه القدوة وتلك الأسوة ، فلم تكن حياتهم أياما متتابعة ولا حوادث متلاحقة ولا حركات جوفاء ، بل كانت دروسا تفيض بالعبر والعظات مما يفيد الناس فى دينهم ودنياهم ، وفى شئونهم الفردية وأمورهم الجماعية .

ولست أدرى لماذا أحس فى نفسى فرقا كبيرا بين « السيرة » و « التاريخ » فأنا أحس بالسيرة تأديبا وتهذيبا ، وتعليما وتقويما ، فيها ضرب المثل الصالح الذى يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ولكن التاريخ سلسلة أحداث وحوادث ، تسردها الألسنة أو الصحف ، يأخذ بعضها بخناق بعض ، دون أن يعنى السارد باستلهام الحادث عظة أو عبرة .

مكتبتنا العربية

والسيرة يجب أن نتحدث عنها ونطيل الحديث، لأنها تاريخ فوق أنها قدوة ، وهى كما أسلفنا نمط من التاريخ الجامع بين الحادث والقدوة . وما من أمة تستطيع أن تعيش بغير تاريخ ؛ وأمير الشعر والشعراء شوقى يقول فى قيمة التاريخ :

غال بالتاريخ واجعل صحفه ... من كتاب الله فى الإجلال قابا
رب من سافر فى أسفاره ... بليالى الدهر والأيام آبا
واطلب الخلد ورمه منزلا ... تجد الخلد من التاريخ بابا
مثل القوم نسوا تاريخهم ... كلقيط عىّ فى الناس انتسابا
أو كمغلوب على ذاكرة ... يشتكى من صلة الماضى انقضابا

ويقول فيه أيضا :

ذاك كتاب الناس والأيام ... من آدم الجد إلى القيام
تأنق الدهر به ما شاء ... وأتقن التأليف والإنشاء

والأمة الإسلامية أشد حاجة من غيرها إلى الإقبال على تاريخها ، والاعتزاز به والتمعن فيه ، لأن التاريخ الإسلامى شديد الارتباط بتعاليم هذه الشريعة السمحة، إذ هو ليس تاريخا قوميا وطنيا ، وليس تاريخ أسرة أو دولة إقليمية ، ولكنه تاريخ دعوة استجاب لها كرام سابقون حملوها على أكفهم إلى المشرق والمغرب ، فكانوا يسالمون ويحاربون ويهاجرون ويستوطنون ويبنون ويعمرون، وهم مستظلون بلواء هذه العقيدة الإلهية السامية . ومن هنا امتزج تاريخ نشر الدعوة الإسلامية بتاريخ الذين نشروها ومكنوا لقواعدها بين العالمين .

ونحن — حين نطالع تاريخ أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وخالد وسعد وطارق وقتيبة وابن عبد العزيز وصلاح الدين وغيرهم — لا نطالع تراجم لأناس عاشوا كما يعيش الناس ، يأكلون ويشربون ويتمتعون ، ويعلون فى الأرض بالسلطان والبناء ، بل نطالع تاريخ أناس فنوا فى دعوتهم ، والتزموا حدود يعتهم، وأخلصوا لله جهادهم فى حياتهم، فكانوا مبادئ عملية حية تسعى بين الناس

مكتبتنا العربية

والسيرة يجب أن نتحدث عنها لأنها تفسير لمبادئ هذا الدين الكريم ، وبخاصة أقوال الرسول وأعماله لأنه الإمام والقائد . والذين أخذوا عنه من صحابته وأتباعهم إنما يستضيئون بنوره ويهتدون بهداه ، فهو الينبوع وهم خير الناهلين . ونحن نلاحظ أن من الفئات الضالة المضلة ما ينجم بين صفوف المسلمين من حين لحين ليقول للناس كذبا وزورا وبهتانا : إننا يجب أن نأخذ ديننا من القرآن وحده ، ويجب ألا نعتمد على شيء إلا على نصوص القرآن ، مع أن القرآن الكريم جاء مبادئ كلية ونصوصا عامة ، ولم يتعرض للتفاصيل والجزئيات ، إذ لا يتسع الدستور الأصيل العام لكل هذه التفاصيل والتفاسير ، وتكفلت السنة النبوية صلوات الله على صاحبها بالشرح والتفسير والتوضيح .

ولقد أمرنا الله في كتابه الكريم بالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وشرع لنا كثيرا من المعاملات ، ولكنه لم يعرض لتفاصيل هذه الفروض ، ولم يطل بتعداد هيئاتها وجزئياتها ، وتكفلت السنة النبوية بالشرح والتفصيل ، فالذين يهونون من شأن السنة والاستدلال بها والرجوع إليها جاهلون جهلا فظيعا ، أو هم يكيدون للاسلام كيدا لئيما ، ومهما كانوا فهم بحاجة إلى المجاهدة العقلية والأدبية حتى يستقيموا على الطريق . . .

والسيرة يجب أن نتحدث عنها لأنها تطبيق لذلك الدين ، وتنفيذ لذلك القرآن الكريم . وإن هناك من الضالين من يزعمون أن مبادئ القرآن الكريم مبادئ نظرية لا يمكن تنفيذها ولا يستطاع تطبيقها ، ولكن السيرة تلقمهم الأحجار الكافية لردعهم وإقناعهم في هذا المجال ، فقد استحال القرآن الكلامي الى قرآن عملي على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أيدي أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين . ولقد التزم الأولون مبادئ القرآن الكريم وعملوا بها ، فسعدوا وفازوا ، وشهد العالم على أيديهم أجمل فترة في تاريخ الإنسانية ، وليس ببعيد أبدا أن يحقق الله للمسلمين مثل هذه السعادة إذا ما أخلصوا نياتهم وصدقوا في عزيمتهم وأقبلوا على الله يعبدونه ، ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء .

فعلى المسلمين أن يقبلوا على سيرة رسولهم صلى الله عليه وسلم وعلى سيرة صحابته الأكرمين ، ليأخذوا منها القدوة والتاريخ والتفسير والتطبيق ، وهذا يستدعي أن يجمعوا هذه السيرة جمعا شاملا ، وأن ينفوا عنها الدخيل المفترى ، وأن يجيدوا عرضها على أنفسهم وعلى الناس ، ويومئذ يستفيدون منها أكثر ، ويجنون من رياضها أطيب الثمرات .

مكتبتنا العربية

وصدق العلى الكبير إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفورا رحيما » .

وليت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعطون السيرة النبوية حقها الوافى من العناية والاهتمام بدل أن تظل مجالا فسيحا للتزيد والتحريف بأيدى غلاة الأعداء والأصدقاء الجهلاء على السواء ... ما

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حفظ المعرى

روى السمعانى فى كتاب الانساب عن التبريزى أنه كان قاعدا فى المسجد بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه ، قال : وكنت أتممت عنده سنتين ولم أر أحدا من أهل بلدى . فدخل المسجد — مغافصة — بعض جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح . فقال أبو العلاء . ما أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من اهل بلدى سنين . فقال لى : قم وكلمه . فقلت له : حتى أتمم السبق (أى الدرس) . قال : قم وأنا أنتظرك . فقمت وكلمته بالأذربية شيئا كثيرا إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عدت وقعدت بين يديه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لى . ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما . ثم أعاد لفظا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . فجعل جارى يتعجب غاية العجب و يقول : كيف حفظ شيئا لم يفهمه ؟ !

مكتبتنا العربية

وصدق العلى الكبير إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفورا رحيما » .

وليت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعطون السيرة النبوية حقها الوافى من العناية والاهتمام بدل أن تظل مجالا فسيحا للتزيد والتحريف بأيدى غلاة الأعداء والأصدقاء الجهلاء على السواء ... ما

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حفظ المعرى

روى السمعانى فى كتاب الانساب عن التبريزى أنه كان قاعدا فى المسجد بمعرة النعمان بين يدى أبى العلاء يقرأ عليه شيئا من تصانيفه ، قال : وكنت أتممت عنده سنتين ولم أر أحدا من أهل بلدى . فدخل المسجد — مغافصة — بعض جيراننا للصلاة ، فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح . فقال أبو العلاء . ما أصابك ؟ فحكيت له أنى رأيت جارا لى بعد أن لم ألق أحدا من اهل بلدى سنين . فقال لى : قم وكلمه . فقلت له : حتى أتمم السبق (أى الدرس) . قال : قم وأنا أنتظرك . فقمت وكلمته بالأذربية شيئا كثيرا إلى أن سألت عن كل ما أردت . فلما عدت وقعدت بين يديه قال لى : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أهل أذربيجان . فقال لى . ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنى حفظت ما قلتما . ثم أعاد لفظا بلفظ ما قلنا من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . فجعل جارى يتعجب غاية العجب و يقول : كيف حفظ شيئا لم يفهمه ؟ !

مكتبتنا العربية

لغويات

جاء صالحو القوم ، نظرت إلى ناجحى المدرسة

يجرى كثير من المثقفين الآخذين بقسط كبير من العربية فى قراءة نحو ما أثبت هنا على إثبات الواو أو الياء . وهم لا يبالون فى هذا بالجمع بين الساكنين المرفوض فى العربية . وإذا ناقشت بعض هؤلاء فقد يقول : إن ما أفعله يدعو إليه تجنب اللبس للجمع بالمفرد . وهذا أمر لم يعبأ به العرب ، فهم لم يستجيبوا له فيقعوا فى أمر كرهوه ونبا عنه لسانهم ، وذلك هو التقاء الساكنين الذى يفرون منه ولا يطورون [١] حرائه . وهم يعتمدون فى فهم المراد على مقام الحديث والقرائن . فالوصف يكشف عن المقصود فى قولك : جاء صالحو القوم النجباء ، والضمير فى قولك : جاء صالحو القوم فأكرمتهم ، ونظرت إلى طالبى العلم فسررت بهم . وترى هؤلاء المتمسكين لسنن العربية يثبتون الحرف حيث لا لبس ، وذلك فى المثنى المرفوع نحو قولك : جاء طالبا العلم ، فالمفرد لا مكان له هنا لفتح آخره وعدم ضمه . وجاء فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى الآية (١٦) من سورة المطففين : « ثم إنهم لصالو الجحيم » ولم يقرأ أحد بأثبات الواو فيما نعلم . فأما قوله تعالى فى الآية (٤) من سورة التحريم : « وإن تظاهرا عليه فأن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » فقد رسمت (صالح) فى المصاحف بصورة المفرد ، ويقول البيضاوى : « والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالإضافة » . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٨ / ٢٩١ : « وصالح يحتمل أن يراد به الجمع وإن كان مفردا ، فيكون كالسامر فى قوله : (مستكبرين به سامرا) أى سمارا ، ويحتمل أن يكون جمعا حذفت منه الواو خطا لحذفها لفظا ، كقوله : « سندع الزبانية » .

وبعد هذا أذكر أنه جاء الجمع بين الساكنين فى مثل ما تحدث عنه فى موارد معدودة ، وحملها عند جمهور النحويين الشذوذ ، فلا يقاس عليها ولا ينبغى أن نحتذيها فى نطقنا .

---

(١) يقال : لا يطور حراه وحراته أى لا يدنو منه .

مكتبتنا العربية

فمن ذلك قولهم : التقت حلقتا البطان ، فهم يثبتون الألف فى « حلقتا » فتلتقى ساكنة مع لام « البطان » . وهذا مثل يضرب لتفاقم الشر . وذلك أن البطان حزام يجعل تحت بطن البعير لشـد الرحل عليه ، وفيه حلقتان ، فاذا التقتا كان ذلك من الهزال فيعيى البعير ويكل عن السير . ويقول ابن يعيش فى شرح المفصل ١٢٣/٩ : « وأما حلقتا البطـان فالقياس حذف الألف لالتقاء الساكنين ؛ كما حذفوها فى قولك : غلاما الرجل . وكأن الذى سوغ ذلك إرادة تفظيع الحـادثة بتحقيق التثنية فى اللفظ . والبطان للقتب ، وهو الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان ، فاذا التقتا دل على نهاية الهزال . وهو مثل يضرب فى الأمر إذا بلغ النهاية » . وقد ورد هذا المثل فى قول أوس بن حجر :

وازدحمت حلقتا البطـان بأقـ ـوام وجاشت نفوسهم جزعا

ويقرأ فى البيت « حلقتا البطـان » بحذف الألف ، كما يوجبه القياس ؛ لأن الشعر لا يلتقى فيه ساكنان البتة .

ومما ورد فيه إثبات حرف المـد عند التقائه بساكن ما رواه عصمة عن أبى عمرو ابن العلاء فى الآية ٣٨ من سورة الأعراف : (حتى إذا اداركوا فيها جميعا) أنه قرأ باثبات ألف « إذا » فتلتقى ساكنة مع الدال الأولى من « اداركوا » . وهـذه قراءة شاذة ، وعصمة ليس مما يعتد بروايته ، والمعروف عن أبى عمرو كغيره حذف الألف على القياس .

ويذكر القرطبى فى تفسيره ج ٧ ص ٢٠٤ بعـد حكايته رواية عصمة أنه حـكى عن العرب : هذان عبدا الله ، وله ثلثا المـال باثبات الألف . ويقـول الفراء فى كتابه معانى القرآن ١ / ٤٣٨ : « والعرب تقول : حتى إذا اداركوا ، تجمع بين ساكنين بين التـاء من تداركوا وبين الألف من إذا ، وبذلك كان يأخذ أبو عمرو بن العلاء » وهـو يريد بالتاء من « تداركوا » الدال التى أصلها التاء فأبدلت إليها تحقيقا للادغام . وظاهر كلام الفراء أن هذا سنة لبعض العرب ، فهـو قياس عنـده . وتراه قد اعتمد ما ينسب إلى أبى عمرو فى قراءته الآية السابقة . وقد علمت أن المرجع فى هـذه الرواية إلى عصمة . وعصمة يقول فيه أبو حاتم ـ كما فى طبقات ابن الجزرى ـ : إنه مجهول .

وخلاصة البحث أنه يجب اجتناب الجمع بين الساكنين فى مثل : له ثلثا المـال

مكتبتنا العربية

وكوفئ ناجحو الطلبة وسررت من آخذى الجائزة . ولا يتعود القارئ الترخص فى هـذا فهو مناف لمزاج العربية منافر لطبعها .

المسلى = السمن . الاذرة = الذرة . الملق = الملا .

ترى كثيرا من الناس يستعمل « المسلى » بدل السمن ، وقـد يظن بعضهم أن كلمة « المسلى » أفصح وأعرب ، وأن كلمـة « السمن » عامية مبتذلة . و « كلمة المسلى » تحتاج فى العربية إلى تخريج وشىء من الصنعة ليس باليسير .

فالأصل فى « المسلى » المسلوء ، وهو وصف للسمن . يقال : سلأ السمن : عالجه بالنار حتى أذاب زبده . و يقول فى المصباح : « سلأت السمن سلأ ـ مهموز من باب نفع ـ : طبخته حتى خلص ما فيـه من اللبن » . وقد تحولت كلمـة « المسلوء » إلى « المسلى » بتخفيف الهمز فى الفعل فيتبعه الوصف . فالفعل سلأت يقال فيه سليت بابدال الهمزة ياء ، وهذا التخفيف ليس قياسيا ، و إنما القياس إبدال الهمزة ألفا ، كما يقال فى رأس : راس . وفى فأس : فاس . وفى بأس : باس . ولـكن بعض علماء العربية يجيز هذا الضرب من التخفيف . وترى فى خاتمة المصباح النص الآتى : « وحكى سيبويه قال : سمعت أبا زيد يقول : ومن العرب من يخفف الهمزة فيقول : قريت ونشيت و بديت ومليت الإناء وخبيت المتاع وما أشبه ذلك » وساق صاحب المصباح بعد هذا أن سيبويه لم يرض ما ذكره أبو زيد الأنصارى ، وما يرمى إليه من أن يكون هذا التخفيف منهجا ملحوبا وطريقا مسلوكا . وأيا ما كان الأمر فقـد درج العامة على سلوك مذهب أبى زيد فيقولون : قريت وتوضيت ، ولا ينطقون بالهمز البتة فى مثل هـذا . فسليت فى سلأت جارية على منهاجهم . فجاء الوصف منه على مسلى كما يجىء الوصف من رمى على مرمى . وقد جاء من هـذا الضرب عن العرب مشنى أى مبغض . وهو وصف من شنأ ، فترى أنهم خففوه على شناه يشنيه ، ثم جاءوا باسم المفعول : مشنى . ومن هـذا قول الشاعر ـ أورده فى اللسان فى كلأ ـ :

ما خاصم الأقوام من ذى خصومة ... كورهاء مشنى إليهـا حليلها

ومن هـذا الباب أن قوما من العرب يقولون : كليت الشىء أى حرسته وحفظته ، والوصف منه مـكلى والأصل : كلأت والوصف مكلوء ، كما قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن » .

مكتبتنا العربية

واستعمال المسلى فى المسلوء قديم . ففى عيون الأخبـار ٣ / ٢٠٠ : « الأصمعى قال : قال أبو صوارة أو ابن دقة : الأرز الأبيض بالسمن المسلى بالسكر الطبرزذ ليس من طعام أهل الدنيا » يريد أن هذا الطعام لنفاسته ينبغى أن يكون من طعام أهل الجنة لا من طعام أهل الدنيا ، والطبرزذ : السكر الأبيض الصلب . وهو لفظ فارسى .

وترى أن « المسلى » فى الأصل وصف للسمن غلب عليه ، فاستعمل فى مكانه ككثير من الصفات الغالبة ، كالسابغات الدروع ، والأبيض للسيف ، والأسمر للرمح . وأن هجر السمن إليه من التفاصح الذى لا مسوغ له .

ومن قبيل هذا التفاصح استعمال الأذرة بدل الذرة ، وهذا لا وجه له البتة ، فينبغى اجتنابه .

ومن هذا التفاصح قول أهـل الريف للمتسع من الأرض : المـلق ، ينطقونه بالقاف المعقودة بلغتهم ، وإنما هو الملا . وفى اللسان : « وأما الملا المتسع من الأرض فغير مهموز يكتب بالألف والياء والبصريون يكتبونه بالألف . وأنشد :

ألا غنيانى وارفعا الصوت بالملا ... فأن الملا عندى يزيد المدى بعدا

وأورد فى اللسان بعده البيت الآتى لقيس بن ذريح :

تبكى على لبنى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر

وتخريج هذه اللفظة أن بعض العرب يقـف على المختوم بالألف بالهمز فيقـول فى حبلى : حبلأ فى الوقف ، فهؤلاء قالوا : الملأ فى الوقف على هذه اللغة ، واستمروا على ذلك فى الوصل ، وجاء بعد من ظن أن الهمز بدل من القاف كما فى لغة أهل القاهرة فردّوها قافا . وهذا كما يقول بعضهم لق فى لا ، فهذا تخريجه ماذكرت : أنه قيل فى لا : لأ فى الوقف واستمر هذا فى الوصل فظـن أن الهمز بدل من القاف فردت قافا . ولهذه الصنعة باب يسمى تدريج اللغـة ، بسط الكلام فيه ابن جنى فى الخصائص ، وجعل له آثارا كثيرة فى اللغة . م

محمد النجار

مكتبتنا العربية

مثل النبي ﷺ ومثل أمته

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى النائم ملكان، فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته. فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل فى حلة حبرة. فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء، أتتبعونى؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء، فأكلوا وشربوا وسمنوا. فقال لهم: ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لى إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعونى. فقالوا: بلى. قال: فإن بين أيديكم رياضا أعشب من هذه، وحياضا هى أروى من هذه. فاتبعونى. قال: فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعنه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه. رواه أحمد.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

السفر بزنة ركب وصحب جمع سافر كراكب وصاحب والسافر هو المسافر. أو السفْر هو السفر بفتح الفاء. أى كمثل قوم ذوى سفر، والمفازة الفلاة لا ماء بها، وسميت مفازة وهى مهلكة، والفوز هو النجاة من تسمية الضد بالضد تفاؤلا. كتسمية اللديغ سليما، والحلة الثوب الجديد لأنه حل طيه، أو هى ثوبان يحل أحدهما على الآخر، والحبرة بزنة عنبة نوع من برود اليمن، وحلل اليمن وبرودها مضرب الأمثال فى الجودة والحسن فى القديم. أرأيتم، أى ما تقولون؟ وأصله سؤال عن الرأى، والرياض المعشبة ذوات العشب وهو الحشيش الرطب، وهو دليل الخصب والإثمار، فهو كناية عنه، والحياض جمع حوض وهو مجتمع الماء. والرواء جمع ريان كعطاش وظماء جمعى عطشان وظمآن، وأصل الريان الشارب المرتوى فشبه به الحوض الممتلئ. فهو فيه مجاز. والمثل الشبيه والنظير، وضرب المثل سوقه، وهذا أظهر من قول أئمة اللغة فيه: اعتماده وصنعه كضرب اللبن جمع لبنة والخاتم ونحوهما. وانما جعلته أظهر لقولهم مثل سائر، وهو أسير من مثل، وإليك يزجى القول ويساق الحديث؛ وفى الكشاف أن لضرب العلماء الأمثال،

مكتبتنا العربية

واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنا ليس بالخفى فى إبراز خبيات المعانى ، ورفع الاستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ؛ ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » . وهم — أى العرب — لم يضربوا مثلا ؛ ولا رأوه أهلا للتسيير إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ، ولهذه الغرابة التى فيه ناسب إطلاقه على الحال والصفة والقصة إذا كان لها شأن ، وفيها غرابة من بعض الوجوه : كقوله تعالى فى المنافقين : « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » أى صفتهم وحالهم وقصتهم العجيبة ، وقوله تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون » أى صفة الجنة العجيبة « فيها أنهار الخ » « ولله المثل الأعلى » أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة .

إذا تمهد هذا فقول أحد الملكين للآخر « اضرب مثل هذا ومثل أمته » من المعنى الأول ، أى سق له ولأمته شبيها ونظيرا ، وقول الآخر له : « مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر » لفظ المثل فيه من الثانى أى حاله وصفته وقصته العجيبة هو وأمته كصفة قوم سفر وحالهم . لا يقال : إن ذلك يؤدى إلى أن يكون الجواب عن غير السؤال فإن الجواب إنما هو هذا التركيب . وهو من قبيل التشبيه والتمثيل . تمثيل صفة بصفة وقصة بقصة وحال بحال .

وقد مثل الحديث أهل الجاهلية — فيما انتهوا إليه من سوء سيأتى بيان طرف منه — بقوم مسافرين فى فلاة مهلكة خالية من أسباب النجاة وضروريات الحياة ، وقد أشرفوا فيها على الغاية المهلكة ، والنهاية القاتلة ، بعد ما نفد زادهم وساء حالهم ، وصاروا أعجز ما يكونون عن المضى فيها أو الرجوع منها . فبينما هم فى هذه الحال من العجز واليأس إذ طلع عليهم رجل تحيى هيئته فى النفوس ميت الرجاء وتبعث خامد الأمل ، إذ ليس عليه شئ من غبرة السفر ، وشعث البداوة ، وجهد المسير ، ورثاثة الهيئة ، وكسوف البال ، كالذى هم فيه . بل عليه شارة الحضارة والنضارة ، وأمارة النعمة والغضارة [١] وهيئة الخفض [٢] والسعة واليسار . ليكون حاله ذلك مصداقا لما يبشرهم به مما وراءه

(١) الغضارة : النعمة والسعة والخصب . (٢) الخفض هنا : الدعة ولين العيش .

مكتبتنا العربية

من رياض معشبة ، وحياض روناء . ففي هذه الحلة الجبرة إذن إشارة الى ظهور صدقه صلى الله عليه وسلم . وقد ورد أن رجلا من المشركين لم يكن رآه صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال : أشهد أن هذا الوجه ليس بوجه كذاب ، وآمن به ، وروى أن أصحاب عبد الله (بن مسعود) ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم فقال : إن أمر محمد كان بينا لمن رآه ، والذى لا إله غيره ، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب . وقرأ قوله تعالى : « هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب » الآيات . وروى السدى أن الأخنس بن شريق وأبا جهل التقيا فقال الأخنس لأبي جهل : يا أبا الحكم . أخبرنى عن محمد : أصادق هو أم كاذب ، فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيرى . فقال أبو جهل : والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط . ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ فنزل قوله تعالى : « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب فى شيء ولكنهم كانوا يجحدون .

والظاهر أن هذه الرياض الاولى التى قنع بها من تقاصرت هممهم ، ووهنت عزائمهم من المؤمنين ، هى ماصاروا إليه فى ظلال الإسلام وكنفه من حسن حال ، وصلاح بال ، وحياة طيبة رخية ، وعيشة راضية مرضية ، الى ما شملهم من عدل وأمن ، وأخوة وألفة ، وسعة ويسار ، وما آتاهم الله من سناء ورفعة ، وعزة وتمكين ؛ وأن الرياض الثانية هى هذه الجنات التى أعدها الله لأولى الهمم الفتية ، والعزائم القوية الذين يخشون أن تذهب طيباتهم فى الحياة الدنيا ، ويعلمون أن ما عند الله هو خير وأبقى .

ويجوز أن يكون المراد بالرياض الأولى هو ما أعده الله من الجنات لأصحاب اليمين . والمراد بالثانية : هو ما أعده للسابقين السابقين من المقربين . كما جاء وصف ذلك فى سورة الواقعة فى قوله تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ، على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين » الى قوله تعالى « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » وبقوله « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب » الآيات . والوجه الأول أظهر لقوله صلى الله عليه وسلم : « فأكلوا وشربوا وسمنوا » .

مكتبتنا العربية

وقد أجمل الحديث ما ضرب له المثل من حال سيئة كان عليها أهل الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، قبل هذه الحال الحسنة التي صاروا إليها ، وسر هذا الإجمال أن المخاطبين به من سلف الأمة كانوا يعلمون ذلك بالضرورة . وليس الحال كذلك بالإضافة إلينا معشر الخلف فنحن في أمس الحاجة الى أن يصفوا لنا بألسنتهم طرفا مما كانوا فيه قبل هذا الذي أكرمهم الله وأكرمنا تبعا لهم به .

فمن ذلك ما أجاب به جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ النجاشي رحمه الله حينما هاجر إليه مع طائفة من المؤمنين (الهجرة الأولى) فأرسلت قريش في أثرهم من يغري النجاشي بهم ، بأنهم فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينه وجاءوا بدين ابتدعوه لا يعرفه هو ولا قريش ، ويسألونه أن يردهم إليهم فأبى حتى يسألهم عن هذا الذي يقولونه فيهم . فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني (النصرانية) ولا دين أحد من هذه الملل . فكان الذي كلمه جعفر فقال : أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . وعدد عليه أمور الإسلام ، ثم وصف له ما أصابهم من قومهم حين صدقوه وآمنوا به ، وما رجوه بالهجرة إليه ، إلى أن قال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء فقرأ عليه من سورة مريم حتى أبكاه وأبكى أساقفته حتى أخضلوا أناجيلهم ، فأبى أن يسلمهم إلى قريش ؛ ومنه ما روى الطبري في فتح أصبهان وتوجيه عمر رضي الله عنه النعمان بن مقرن إليها فأتاها و بينه و بينها النهر فأرسل إلى ملكها المغيرة بن شعبة رضي الله عن الجميع . فدخل عليه وقد قعد على سريره ، ووضع التاج على رأسه ، وقعد أبناء الملوك نحو السماطين (الصفين) عليهم أسورة الذهب ، وثياب الديباج ، ومع المغيرة رمحه وترسه ، فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا . وقد أخذ بضبعيه (عضديه) رجلان . فقام بين يديه فكلمه الملك فقال : إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير ، وأطول الناس جوعا ، وأشق الناس شقاء ، وأقذر الناس قذرا ، وأبعدهم دارا ، وما منعني أن آمر هؤلاء الأساورة (القواد والجند والرمى بالسهام والثابتون على ظهور الخيل) حولي أن ينتظموكم بالنشاب

مكتبتنا العربية

إلا تنجسا لحيفكم ، فأنتم أرجاس فإن تذهبوا نحل عنكم وإن تأبوا نركم مصارعكم . قال (المغيرة) : فحمدت الله وأثنيت عليه . فقلت : والله ما أخطأت من صفتنا شيئا ولا من نعتنا . إن كنا لأبعد الناس دارا ، وأشد الناس جوعا ، وأشق الناس شقاء ، وأبعد الناس من كل خير ، حتى بعث الله عز وجل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم فوعدنا النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ، فوالله مازلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم ، وإنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على ما فى أيديكم ، أو نقتل بأرضكم ، وصدق المغيرة فقد وفى هو ومن معه ماعاهدوا الله عليه ، فوفى الله لهم ما وعدهم من الغلبة والفوز ، وما كتب لهم من النصر والفتح المبين .

أما بعد — فهل لنا معشر المسلمين أن نعرف لهذه النعمة التى أنقذنا الله بها من الهلكة حقها ، فنؤديها إلى أبنائنا كما ورثناها عن آبائنا رياضا وارفة الظلال عذبة الماء طيبة الثمار قبل أن تزعجهم عنها هذه الأعربة المشئومة التى تنعق بالإلحاد والوجودية إلى مجير الفلوات وسراب المفازات ، ؟ وهل لنا أن نحوط هذه الرياض والحياض ، ونكنفها بأسوار منيعة من صدورنا وسواعدنا ، وحذرنا ويقظتنا ، حتى لا يصوح بنضرتها الناضرة ، وثمارها اليانعة ، وبهجتها البهيجة ، ما يهب عليها كل يوم من أعاصير الفتن وزعازع المحن ؟ وهل لنا أن نعلم أن علينا أن نقف على رأس كل مفازة من هذه المفازات التى ضلت أمم الأرض فى مهالكها وتاهت فى شعابها ، لندلهم على سبيل الخلاص وطريق النجاة متحلين بما يصدقنا من حالنا ، لعلهم أن يتبعونا فينزلوا فيما ندعوهم إليه من رياض معشبة وحياض رواء ، لنكون قد شكرنا نعمة الله علينا شكرا من جنسها ، وأدينا إلى الأخوة الإنسانية — وإن ناصبتنا العداء — بعض حقوقها . ولعلهم إذا ما اهتدوا أن يشدوا من عزائمنا ، ويوقظوا من همتنا ، فيما لا يزال يدعونا إليه نبينا ، مما هو بين أيدينا من رياض أعشب وحياض هى أروى . ويالها من أمانى حسان يتمناها إنسان لإخوانه من بنى الإنسان على ما بذر الشيطان فى النفوس من بذور الفرقة والعداوة والبغضاء ، وما نفث فيها من أسباب الريبة ومن سوء الظنون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . « ولله عاقبة الأمور » ؛

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

بنـــــو اسرائيل

فى الماضى والحاضر

يعجب كثير من الناس لما يشاهدونه كل يوم من يهود إسرائيل من نبذ العهود ونقض المواثيق وغدرهم الذى لاينقطع واعتدائهم على الآمنين ولاسيما الضعفاء من الكهول والنساء والصبيان البرآء ومجاوزتهم فى ذلك الحد حتى انهم لم يراعوا حقوق الإنسانية الفاضلة التى جاءت بها الشرائع والقوانين ، وإنما يعجب من ذلك من لم يعلم أن تاريخ اليهود سلسلة متصلة من المخازى والخيانة والغدر والتقتيل والتخريب وأن هذه أمور متأصلة فيهم من قديم الزمان .

وشعب إسرائيل اشتهر بسوء الطباع وشكاسة الأخلاق وانتكاس الفطرة ، وقد وصفوا فى التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة [١] وهو كناية عن البلادة والعناد وعصل الطباع [٢] المانع من الانقياد للحق ولو كان واضحا .

ولم يجد نبى من قومه من إيذاء وتعنت ونقض للعهود مثل ما وجد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل ، ولم يكن ما نال الأنبياء الذين جاءوا من بعده من الأذى والاضطهاد بأقل مما ناله ، فقد قتلوا البعض كزكريا ويحيى عليهما السلام ، وكذبوا البعض الآخر كعيسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام . وقد سجل الله سبحانه عليهم هذه الجرائم الشنيعة بقوله : « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » [٣] .

---

(١) الوحى المحمدى ص ١٢١ ط ثالثة . (٢) اعوجاجها مع صلابتها من عصل الشىء من باب فرح اعوج فى صلابة فهو عصل وأعصل والجمع عصال كسهام .

(٣) البقرة الآية ٨٧ .

مكتبتنا العربية

وبسبب ذلك كتب الله عليهم الذلة والمسكنة واستحقوا سخط الله ، قال سبحانه : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » [١] .

وسأتتبع ما استطعت ما أخذ عليهم من عهود ومواثيق أقروا بها ثم لم يلبثوا أن نقضوها وناقضوا أنفسهم بعدم التزامها كى يتبين لنا أن ما يقوم به أخلاف بنى إسرائيل اليوم هو امتداد لما كان يفعله أسلافهم من قبل .

فقد أخذ الله سبحانه عليهم العهد المؤكد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يصلوا الأرحام ويحسنوا إلى اليتامى والمساكين ويتحلوا بمحاسن الأخلاق ويقيموا فرائض الدين، فما وفى منهم إلا قليل ونكثوا العهد فقالوا : عزير ابن الله وقطعوا الأرحام وأكثروا من الفساد فى الأرض ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون » [٢]

وأخذ الله عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماء إخوانهم فى الدين والنسب ولا يخرجوهم من ديارهم مبينا لهم أن سفك دم الغير كسفك دم النفس وأن إخراج الغير من داره كإخراج النفس ، وأقروا بالميثاق وشهدوا على أنفسهم به ثم نقضوه فسفك بعضهم دم بعض وأخرج بعضهم بعضا من داره ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون »[٣] وإذا كان هذا التصرف المشين مع إخوانهم دينا ونسبا

---

(١) البقرة الآية ٦١ .

(٢) البقرة الآية ٨٣ .

(٣) البقرة الآيتان ٨٤ ، ٨٥ .

مكتبتنا العربية

فما بالك بمن لا يربطهم به دين أو نسب ؟ لاشك أنهم يكونون معهم أشد ضراوة وأقسى قلوبا وأغلظ أكبادا ، وهكذا كانوا، فكم سفكوا من دماء وانتهكوا من حرمات وأعراض ، وها هم اليوم يعيدون سيرتهم الأولى : فاستحلوا دماء العرب الآمنين فى فلسطين ، وأكثروا فيهم القتل وفى ديارهم التخريب ، واغتصبوها وأخرجوهم منها، وأصبح الغاصب متمتعا بالبلاد وخيراتها،وأبناء البلاد الأصيلون مشردين فى بقاع الأرض، يفترشون الأرض و يلتحفون السماء ، وكل ذلك تم بصنع أشياع الصهيونية ،وعلى مرأى ومسمع من العالم الحر — كما يقولون — ولئن يئس أهل فلسطين عن عدالة أهل الأرض فلن ييئسوا من عدالة السماء ،ففيها معقد الأمل والرجاء،وحين تدور الدائرة على الباغى سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأخذ الله عليهم العهد أن يعملوا بما فى التوراة من التكاليف والآداب، واستوثق عليهم برفع الجبل حتى صار كالظلة فأقروا وأذعنوا ، وسرعان ما تخلوا عن العهد ولم يلزموا أنفسهم بما فيها . قال تعالى: « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » [١] . وأخذ الله عليهم العهد أيضا أنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم من التوراة أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه وقررهم على ذلك فأقروا وأشهدهم على أنفسهم . قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» [٢] ومع كل هذه التوكيدات لم يعملوا بما عاهدوا الله عليه ، فكذبوا بعض الرسل ، وقتلوا بعضهم، فكانوا فاسقين حقا ، ولم يكن علماؤهم بأوفى منهم بالعهود ، فقد أخذ الله عليهم الميثاق أن يبينوا الحق ولا يكتموه ولا يلبسوه بالباطل وأن لا يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا من الرشا والسحت والجاه الزائل والرئاسات المزيفة، لكنهم نقضوا الميثاق ونبذوه وكتموا الحق وبدلوا فى التوراة وحرفوا واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، قال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » [٣] .

---

(١) البقرة الآية ٦٢ ، ٦٣ . (٢) سورة آل عمران الآية ٨١ ، ٨٢ .
(٣) آل عمران الآية ١٨٧ .

مكتبتنا العربية

وشعب بنى اسرائيل معروف من القديم بالتبجح والدعاوى الكاذبة والأمانى الباطلة التى لا تستند الى حق ، فقد ادعوا أنهم أولياء الله وأصفياؤه وأن لهم الجنة دون غيرهم ، فأكذبهم الله وتحداهم بتمنى الموت إن كانوا صادقين فما فعلوا . قال الله تعالى : « قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » [١] وقال : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين » [٢] وادعوا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا ، كما ادعى النصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا ، وقد أكذب الله هؤلاء وهؤلاء وجعل ذلك من أمانيهم الباطلة ، فالجنة لن تنال بالادعاء وإنما تنال بأسلام الوجه لله والانقياد إليه والإحسان فى العمل ، قال جل شأنه : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، تلك أمانيهم ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » [٣] .

ولا يزال اليهود إلى اليوم يدعون ـ كذبا وزورا ـ أنهم شعب الله المختار ، والله يشهد انهم لكاذبون ، وأن ما يتصفون به من قبيح الصفات وما يقومون به من أساليب الأجرام لتبعهدهم من أن يضافوا الى الله سبحانه وتساكهم فى عداد القردة والخنازير ومردة الشياطين .

ومن ادعاءاتهم الباطلة قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، وقد نقض الله سبحانه قولهم بأبلغ حجة وأوفى بيان ، و بين لهم أن قاعدة المجازاة العامة تقتضى لا محالة أن يوفى كل إنسان جزاء عمله : إن خيرا فخير ، و إن شرا فشر ، قال جل شأنه : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عندالله عهدا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله مالا تعلمون ، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » [٤] .

---

(١) سورة الجمعة الآيتان ٦ ، ٧

(٢) سورة البقرة الآيتان ٩٤ ، ٩٥

(٣) سورة البقرة الآيتان ١١١ ، ١١٢

(٤) سورة البقرة الآيات ٨٠ ـ ٨٢

مكتبتنا العربية

ولا تزال الأمانى الباطلة والدعاوى الكاذبة تستبد بعقولهم وأفكارهم الى يومنا هذا ، فتجد رؤساءهم الأفاكين المشعوذين كثيرا ما يظنون أن دولة إسرائيل المزعومة ستمتد من النيل الى الفرات ، ويتشدقون بمثل هذا الكذب الصراح فى غير استحياء ولا خجل ، وكأنما سولت لهم نفوسهم الشريرة أنهم ماداموا قد اغتصبوا جزءا من بلاد العرب بالغدر والخيانة وأعانهم على غدرهم قوم آخرون من المستعمرين ، فقد أصبح من الميسور لهم تحقيق هذا الأمل الكاذب والحلم البعيد ، ولكن هيهات هيهات ، ولا يغرنهم أن الأسد العربى قد آثر التريث والانتظار ، واعتصم بالصبر وضبط النفس ، فأنه إذا وقعت الواقعة سيثب الوثبة الكبرى ويعمل مخالبه القوية فى جسم إسرائيل المنهوك ، وحينئذ سيعضون أصابع الندم ، ولن يجدوا لهم مستقرا إلا فى قاع البحر العميق ، وصدق الحق تبارك وتعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فأذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون » .

(يتبع)

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حقائق

* حفظ الصحة أيسر من علاج العلة .
* أوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء .
* الدنيا كالحية : لين لمسها ، قاتل سمها .
* حياتنا أحلام تنتهى برقاد الموت .
* طوبى لمن كان بصره فى قلبه ، والويل لمن كان قلبه فى بصره .
* ثمرة الأدب العقل الراجح ، وثمرة العلم العمل الصالح .

مكتبتنا العربية

يأتمرون بالدين . . .
والله غالب على أمره

فى غمار الأحداث الصاخبة التى يعالج العالم مشاكلها و يقاسى من عنفها ؛ و يكفكف من حدتها ، يتحين جماعة من الخوارج على الدين هذه العواصف الهوج ، ليبلبلوا الفكر ، و يشعبوا الهوى و يقذفوا بأباطيلهم فى اسماع الناس ، و يخيلوا بخدعهم أمام ابصارهم ، متحللين من قواعد المنطق المسدد ، متجافين عن معدلة الرشد و الأنصاف .

و إذا كان هؤلاء الخوارج - بسفههم فى الرأى و مجانبتهم للحق - يشككون الناس فى قوانين السماء ، وتتعالى صيحاتهم مرجفين بمذهب (الوجودية) فى غير تحرج بأنكار الله واجب الوجود ، و بأنكار الأخلاق و إنكار القانون ، ليتسنى لهم تذوق المتع الرخيصة فى رحابة الإباحية التى لا تعترف بالدين ولا بقيوده وروابطه ، فالدين فى نظرهم قيود ثقيلة تفرضها شرائع ونظم لا حاجة لهم بها ، ولا يستطيعون هضمها . إذا كانوا كذلك فهم جد واهمين متخبطين .

* * *

لو هدأ تفكير هؤلاء الجامحين قليلا ، وسكنت نزغتهم ، لرأوا بمنظار النصفة الهادئة : ألا قيود فى الدين ، وأنه ليس إلا الفطرة السليمة يحوطها سياج متين كريم يحفظها من عوامل الشر والفساد ، فلا تهاجمها فى حصنها جراثيم ضارة خبيثة ، تهدد سلامتها وتعكر صفاءها . هذا السياج المتين الكريم لا يقيد الفطرة السليمة ، ولا يربطها ، بل يبقى عليها : منطلقة ، مرحة ، مستمتعة ، فى كل حلال ، وبكل جمال ، وفى فضيلة الاعتدال .

و إذا كان السياج المحيط الحافظ يتمشى مع الفطرة السليمة ، فيحفظ من أجلها العقل أن يضل ، والعرض أن يستباح ، والمال أن يضيع ، والدم أن يهدر ، والأنساب أن تختلط . أفيكون فى هذا الحفاظ ، وفى هذا الإباء ، وفى هذه السلامة ، ما يبغض و يذم و يستنكر ؟ .

يا معشر المتحللين ! !

إن هذه النظم التى تضيقون بها وتحاولون أن تظهروا عليها ، إنما وضعها الشارع

مكتبتنا العربية

الحكيم ، لتبق فيكم الإنسانية الحكيمة الرحيمة المعتدلة . ولو أنها خولفت أو حوربت أو تبدلت أوضاعها ، لعمت الفتنة ، واندلع الشر ، وشاعت الفوضى .

فأنه إذا أبيح الخمر ـ مثلا ـ وانطلقت المخدرات تغزو كل أنف وتقذف فى كل جوف ، اختل ميزان العقل من أثر ذلك .

و إذا استبيحت الأعراض ، وانتهكت الحرمات ، وقدم السيد المتحلل الوجودى ـ أخته أو أمه أو زوجه أو ابنته ـ متعة رخيصة ، تتناولها الأيدى ، وتتلقفها الأوضاع العابثة الشائنة ، وتعمر بها المواخير ، ترتب على ذلك تحلل الروابط واختلاط الأنساب ، والقضاء على الفضيلة .

ثم إذا انعدم الكسب الحلال ، وطغى احتراف الغصب والسرقة ، وأصبحت الأموال فى غير حرز نهبا مقسما ، تخاذل الناس عن السعى فى التجارة والجد فى العمل ، واستصلاح الأرض ، وتبدل أمن الناس خوفا ، وجهادهم فى الحياة قعودا ، ونشاطهم فتورا ، ووقف دولاب العمل ما دام الوصول إلى المال قريب المنال .

و إذا تم كل ذلك يا معشر المتحللين ، فماذا يبقى للانسانية بعد تخبط العقول ، واستباحة الأعراض ، وفساد الذمم ، وطغيان الإثم ، وضياع النفس والمال ؟ .

ما ذا يبقى فى الوجود بعد هذا الفساد الشامل ؟ أيها الوجوديون ! .

يمينا أحلفها بارا بها أنكم خياليون ، لا تستطيعون أن تعتنقوا مذهبكم هذا فى بيئتكم الضئيلة البغيضة ، و إلا فجربوا ، ثم انشروا على الناس ثمار ما جربتم ، واصدقونا القول فى مبلغ ما وصلتم إليه من نقيصة و إثم وعدوان .

ألا إن الدين وتعاليمه ونظمه ليضمن لكم فى الحياة كل فضل ، ويذيقكم كل خير ، و يغمركم فى سعادة من الإحسان والبر والمرحمة والتضامن والتكافل ، و يحفظ عليكم أعراضكم وأموالكم وعقولكم وأنفسكم ، و يقف بكم عند حدود الله « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » .

واقرأوا قول الله تعالى فى سورة الرعد : « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية و يدرءون

مكتبتنا العربية

بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » .

* * *

وثمت لون آخر من الاتجار بالدين تقوم به شرذمة من الملاحدة . . لا يؤمنون بمبدأ، ولا يستقرون على حال، وإنما يتقلبون من رأى الى رأى حسبما يشاء لهم الهوى، وتغمرهم المادة، ويطيب لهم العبث والافساد . . .

أولئك هم دعاة توحيد التعليم فى المرحلتين الأولى والثانية . . . بين الأزهر والمدارس . فأنه لو تم هذا لتعذر حفظ القرآن، وضعف إعداد رجل الدين لتلقى علوم التفسير، والفقه، والأصول، وعلم الكلام، وأدب السنة، فتطغى موجة الجهالة، ويبيت المجتمع فى حلك الالحاد وضلالة الفتيا . والتهجم على تلك العلوم بضعف الادراك وقصور الفهم، فتكون التعاليم الدينية الصحيحة هدفا للضياع . وتلك وايم الله فتنة الالحاد للتخلص من عصب الحياة الدينية فى الشرق، بل فى العالم كله .

فالأزهر كعبة العلم، ومشرق الهدى، والحفيظ على تراث الأولين فى علومهم ومعارفهم، والأزهر مدرسة القديم والحديث، فيه قوة الفكر، ورجاحة الرأى، وغزارة المادة . فمن الإجرام أن يطعنه الملحدون فى (أبجدياته) من المراحل الأولى للتعليم، ليوهنوا من أسلحة الإعداد الأولى، فيقوم الجهاد فى وجه أعداء الدين على غير أساس .

لا . يادعاة الفتنة . ويا عصبة الشر . لن يكون الدين أبدا غرضا لسهامكم، وهدفا لأراجيفكم، فالدين شريعة الحق، وجنوده أبطال مستبسلون، وحصنه يقوم على دعائم ثابتة من علم، وخلق، ومثل عليا .

وكل أولئك لا يتأثر بفحيحكم الخافت، وحسبكم ماحملتم من خفى حنين .

أما بعد — فقد كنا نود أن يكون لهؤلاء الكتاب وأمثالهم قلم يذودون به عن حمى الدين، ولسان يحركونه فى نصرة الحق .

أما أن يأتمر هؤلاء وأولئك بالدين، فينكر بعضهم تعاليمه وشرائعه، ويمزق البعض الآخر بنوده وأعلامه، ويسعى المتعصبون لتدمير حصنه وتوهين شأنه . فهم فى ذلك جد خاسرين . « والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم ما

محمد عبد الوهاب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

مكتبتنا العربية

الشيخ الصعيدى

١١١٢ — ١١٨٩

كان الشيخ — بعد أن يقضى حق الله وحق أهله — لا يقضى وقته إلا بين تلاميذه ومريديه، متوافرا على درس العلم، منقطعا للارشاد والهداية، يحتسب عند الله ما ينفع الناس ويستصلح نفوسهم فيطهرها من الرعونة والفساد، ليملأها بالنور والصلاح، فهو لا يقصد إلى أمير ولا وزير ما لم تمس إلى ذلك الحاجة من بعض أفراد الشعب أو التلاميذ والمريدين. كان الشيخ إذن يتردد على على بك أمير مصر حين يفزع الناس إليه فى بعض حوائجهم ليقضيها منه إنسانية تعلمها من روح هذا الدين العظيم، وامتثالا لقول السيد الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فمن فعل ذلك كنت له شفيعا وشاهدا».

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقصد الشيخ الصعيدى فى بعض غدواته على الأمير على بك إلى تلك المثوبة الكريمة، وحين أبصره الحشم من بعد دخلوا على الأمير كعادتهم ينبئونه بقدوم الشيخ حتى يعد المكان للقائه، فينفض من حوله تلك الشبك التى يدخن بها، لأن الشيخ يكره الدخان ويقرع شاربه ولو كان الأمير الجبار، لا يبالى ما يصيبه فى جنب الله. وقام الأمير إلى الشيخ كعادته، يستقبله من خارج الدار ليقبل يده ويقدمه إلى مكان الاستقبال، ودخل الشيخ فأخذ مكانه، وجلس الأمير إلى جانبه، ثم نسى الأمير أن يوفر نفسه على خدمة الشيخ كعادته وأن ينصرف إليه بكليته، فأطرق يفكر فى أمر كان يشغله، والشيخ يظن أنه منصرف عنه، فأخذته انفعالة كثيرا ما تعترى العلماء والصالحين. وأخذ يخاطبه بلغة الصعيد: يامين يامين يامين، هو غضبك ورضاك زى بعض، بل غضبك خير من رضاك. ويقوم الشيخ قائما. ويقوم الأمير بقيامه ثم يحاول أن يعيده إلى مجلسه وهو يعتذر إليه ويحلف له بكل محرجة من الأيمان أنه ما غضب ولا كان إلا قرير العين بذلك المقدم الميمون الكريم. ولكن الشيخ يصر على موقفه ويأبى أن يعود إلى مجلسه، وكأن صدر الشيخ كان حرجا بلقاء

مكتبتنا العربية

هذا الأمير وهو يعتقد فيه الجبروت والظلم ، ضيقا بالتردد على أمثاله ، ولو فيما هو طاعة لله ، يخشى أن يسأله الله عن التردد على مثله وهو يقول فى كتابه الكريم : «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » . فرحم الله الشيخ الصعيدى على قدر نيته وما أخلص فى تنفيذ أوامر الله وتحرى رضاه .

وبعد ذلك سأل الأمير على بك عما جاء بالشيخ فى هذه المرة ، فذكرت له حاجته ، فقضاها التماسا لفيئة الشيخ ورجوعه إلى ما كان من رضا يشعر الأمير بأن فيه حياته واستقرار أمره وإلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت .

ومرت الأيام فإذا الشيخ يركب فى ليلة من ليالى رمضان مع شيخه الشيخ حسن الجبرتى والد الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ ، وكان ذلك أيضا لحاجة عزاء بعض الأمراء ، ومرا بقصر على بك ، فقال الشيخ حسن الجبرتى ، عرج بنا نسلم على الرجل . فقال الصعيدى : يا شيخنا أنا لا أدخل . وقال الشيخ الجبرتى : لا بد من دخولك معى ، فلم تسعه مخالفة أستاذه ، ودخلا على الأمير المحزون ، فاستبشر بقدومهما ، وفرح به أشد الفرح ، وكان من المصادفات العجيبة أن يقضى الأمير نحبه فى تلك الليلة ، فيستبشر أهله بغفران الله له ورضوانه عنه لأن الشيخ قد رضى .

ذلك أيها القارئ الكريم هو العالم الأزهرى الصالح الشيخ على الصعيدى العدوى ، نمثل لك به نمطا من رجال الدين وعزتهم فى الله واعتدادهم بالله وعدم خشيتهم لأحد سواه ، حتى استقادت لهم القلوب النافرة ، وخضعت لهم رقاب الجبابرة ، كذلك كانوا وكذلك فليكونوا إن شاء الله .

كان الشيخ الصعيدى من علماء الأزهر فى القرن الثانى عشر الهجرى وهو عهد كان الحكم فيه بمصر للأتراك العثمانيين الذين جاسوا خلال الديار فشملوها بالعسف والجور والاستبداد ، وأطفئوا معالم العلم والتعليم فى كل مكان ، سوى الأزهر الذى حفظه الله من كل يد ظالمة فلا تصل إليه وقال : يا نار كونى بردا وسلاما عليه ، لأن الله أراد به أن يبلغ رسالة الدين ، وأن يحفظ كتابه الكريم تشريفا ميزه الله به ، وكرامة خلعها عليه .

كان الشيخ الصعيدى من علماء ذلك العهد ، فقد ولد ببلدته بنى عدى سنة ١١١٢ هـ ، ونشأ بها صغيرا ، ثم سافر إلى مصر حيث تلك الكعبة العلمية الملحوظة بعناية الله المصونة

مكتبتنا العربية

على عينه، فتعلم بها على خيرة علمـاء عصره : كالشيخ عبدالوهاب الملوى والشيخ شلبي البرلسى والشيخ عبد الله المغربى والشيخ ابراهيم الفيومى الذى بشره بالعلم حين قبل يده وهو صغير كشأن كثير من المحدثين الصالحين من العلمـاء ثم الشيخ محمد زكريا والشيخ ابراهيم شعيب المـالـكى والشيخ أحمد الملوى والشيخ أحمد الديار بى والشيخ الحفنى إمام العلماء فى عصره وكثير غيرهم ، وفى آخر عهده بالطلب تلقى الطريقة الأحمدية على الشيخ على بن محمد الشناوى وواظب على الأوراد ووظائف العبادة كدأب كثير من شيوخ الأزهر وطلابه قديمـا ، وكان ذلك سر ما وضع الله لهم من محبة ومهابة ، فأن الذكر والعبادة يضفيان على العـالم قوة عجيبة ويملآن النفوس بحبه وتفديته ويجمعان القلوب عليه ، وقل أن يكون عالم غـير متصل بالله إلا وهو فاشل فى مهمة الدعوة إلى الله سبحانه ، وكان الشيخ فى فقر يرشحه للتفرغ ، على أنه كان زاهدا يجود بكل ما يجد .

ولمـا قضى الصعيدى أجل التعليم ، وأنس من نفسه القـدرة على الإفادة ، وأذن الشيوخ له بالتدريس ، تصدر له فى أدب وتواضع وإكباب على الدرس والبحث ، فأفاد وأجاد، وألف كتبا كثيرة من الحواشى التى كانت أكبر مظهر للعلم المتوارث فى ذلك العهد التركى. وكان للشيخ طبقات من التلاميذ صاروا فحول العلم، وصارت له مؤلفات سارت بها الركبان منذ ذلك العهد، فكان ممن تخرج عليه الشيخ المحقق القلعى الشهير بعلامة المعقول والمنقول، والشيخ الفرماوى ، والشيخ الجناحى المعروف بالشافعى ، والشيخ الدردير العدوى وحسبك به، وكثير غير هؤلاء، وكلهم فحول لهم مكانتهم فى الأزهر، وكان ممـا ألف حواش مشهورة يسرت سبل الفقه وجلت كثيرا من غوامض كتبه كحـاشية ابن تركى وحاشيته على الخرشى وعلى الزرقانى على المختصر ، وكان له حواش فى غير الفقه كالحـاشية الصغرى والـكبرى على جوهرة عبد السلام فى التوحيد ، وعلى الهدهدى على الصغرى كذلك وعلى الأخضرى على السلم فى المنطق. ويقال إنه أول من كتب الحواشى فى فقه المالـكية، ومهما يكن فأن التـأليف منذ عهد المماليك تقريبا كان مصابا بالزمانة وضعف الإنتاج ، فالمؤلفات كانت فى جملتها تدور حول مختصرات للمطولات تسمى المتون ، ثم تحتاج المتون إلى شروح يرجع فيها إلى تلك المطولات وإلى تطبيق العلم فى فروعه المختلفة كالنحو والمنطق والبيان على عبارات المتون ، ثم تحتاج الشروح أحيانا إلى حواش تزيد الإيضاح أو تناقش، ثم كانت التقريرات فى عهد الأتراك ، فما كان من مؤلفات الشيخ ماهو إلا سير بسيرة العصر فى أرقى صوره .

مكتبتنا العربية

أخلاق الشيخ وصفاته :

لعلك رأيت فيما مرّ بك من استعراض لحياة الشيخ ودراسته وظروفه أنه صار من الراسخين فى العلم والمبرزين فيه ، ثمرة لذلك الانقطاع للعلم والتحصيل ، وأثرا من آثار روحيته الصافية النقية . ولقد كان لهذه الروحية أثر يتجلى فيما رأيت من غيرته على الدين وحرصه على تحقيق ما يدعو إليه يقينا أو ظنا . ويدل على ذلك ما شهر عنه من تحريمه لشرب الدخان ونعيه على كل من يشربه وانتهاره إياه ولو كان أميرا أو وزيرا ، ثم تتجلى تلك الصوفية الروحية العجيبة فيما وهبه الله من قوة ، وهو الضعيف الأعزل الذى لا قوة له إلا ما وهب الله من شخصية جبارة جعلت الأمير على بك وغيره يطلبون رضاه ، ويلتمسون القرب منه ، ويتشاءمون من سخطه حتى تضيق الأرض على الواحد منهم بما رحبت إذا أحس من الشيخ تغيرا أو امتعاضا .

وقد ذكر الجبرتى فى علاقته بالأمير محمد بك أبى الذهب أنه كان يتردد عليه بين الفينة والفينة لا لشىء إلا ليذكره بالله ويخوفه بطشه ، وأنه كان يمسك بيديه ويقول : ما أجمل هاتين اليدين لو سلمتا من عذاب جهنم . وشىء آخر أيضا كان يحفزه إلى ذلك اللقاء وهو تبليغ حوائج الناس التى يجمعها فى مذكرة له لا يستثنى طالب حاجة ، بل يكتب حوائج الناس كلها ثم يعرضها على الأمير ويقول له : لا تمل أيها الأمير فأننى محتسب ، أرجو أن يغفر الله لك ذنوبك ، ويتجاوز عنك بما تفعل من خير لعباده .

وكان الشيخ يصل أهله بالصعيد ويرسل إليهم كسوة الشتاء والصيف كلا فى إبانه لا يستثنى منهم أحدا ولا يحتقر شيئا مما يرسل كلما توفر لديه شىء من المال .

هكذا كان الشيخ الصعيدى العالم العامل الورع الصوفى .

وهكذا كان علماء الأزهر ، وهكذا ينبغى أن نكون جميعا ، وما توفيقنا إلا بالله وحده ، هو حسبنا ونعم الوكيل ؛

محمود النواوى

البقاء

ليس الابن عزيزا على أبيه لذاته ، ولكن لأن الأب يرى فيه امتداد نفسه ، ويرى فيه خلود حياته لأجيال مقبلة .

(تاغور)

مكتبتنا العربية

ملكة المراقبة

بين الفرد والمجتمع

تنزع النفس الإنسانية بطبيعتها إلى الانطلاق من قيود الفضائل والآداب ، وتتطلع إلى ما لا يليق بالكرامة التي شرفنا الله بها في قوله : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

فكان من رحمة الله بالإنسان الذي خاطبه واستخلفه في عمارة هذا الكون أن تعاقبت شرائع السماء على تهذيب نفسه ببيان ما لها وما عليها ، وكبح جماحها عن المضي لغايتها حتى تستبصر لها ، وتنظر في عواقب ما اعتزمته بعقول ينير الإيمان مسالكها ، وتكشف تقوى الله لها سواء السبيل ، ففي ذلك الخيرة لها بين طريق النجاة والهلكة ، وإيثار ما يجمل بها ويحلو لها من حظوظ الخير والشر والهدى والضلال ، وفي نهاية الشوط ما يلذ ويرضي من مغبة الرشد ، أو يقبض المضاجع ويعصف بالقلوب من عواقب الغي والبغي « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ » . وفي الحديث قال أنس بن مالك بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هممت بأمر ففكر في عاقبته ، فأن كان رشدا فأمضه وإن كان غيا فانته عنه » .

وإذا كان العاقل الرشيد يقف وقفة طويلة أمام ما يريد من مطالب عيشه وحاجات نفسه ، ويملي فيها لعقله ، ثم يوازن بين مغانمها ومغارمها ، ويتعرف الربح فيها من الخسارة ، وهي أرباح - مهما بلغت قيمتها وعلت درجتها - قليلة الجدوى سريعة النفاد ، فكيف لا يطيل التفكير ، ويسرف في التقدير والتدبير فيما نهضت همته اليه ، وعزم أمره عليه من عمل ؟ ! أفي طاعة الله أم في معصيته ؟ ! وفي رضوانه أم في مخالفة أمره ؟ ! فأن كان في رضاه وضع يده في يد الله ، واستعانه واستهداه ، وجاهد في ذلك العمل الصالح هواه ، عساه يدرك منه ما يسعد دنياه ، ويكون له ذخرا نافعا في أخراه ، وان كان غير ذلك حبس عنه خطاه ، وغل دونه يديه ، واتقى فيه ربه الذي أمر وحذر وبشر وأنذر « ومن

مكتبتنا العربية

أعرض عن ذكرى فأن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » فأطيب ثمرات الإيمان أن نستبق الخيرات ، وأن نتنافس فيها المؤمنين ، وأن نكف جوارحنا عن السيئات صادقين « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والحديث الذى أسلفته من رواية أنس بن مالك توجيه نبوى يثمر فى أنفس الذين يتمثلونه ملكة مراقبة الله وخشيته ، فلا يصدرون فيما يأتون وما يذرون إلا عن هذه الملكة التى يبلغون من رضوان الله فى الدنيا والآخرة بقدر نصيبهم منها . فهل لهؤلاء الذين لا يتبصرون فى الأمور قبل الإقدام عليها أن يقيموا حياتهم فى ذلك النور المحمدى ، فيتهموا أنفسا قد تستحسن القبيح وتستقبح المليح حتى تبلغ من تقوى الله درجة تمضى معها إلى عز الطاعة وتنتهى بها عن ذل المعصية ! ؟ فالرسول الذى سن لنا هذه الشرائع المبصرة كان أخشى الناس وأخوفهم من الله عز وجل، وما أكثر ما كان يدعو ربه بقوله : « اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد » .

ومن هنا كان بلاؤه فى الدعوة إلى الله وجهاده الموصول ليجعل الناس ملائكة يسيرون على الأرض . ولقد ورث ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فضيلة محاسبة أنفسهم وردها عن فجورها وهواها إلى صلاحها وتقواها ، فكان أبو بكر ـ وهو من يرجح إيمانه إيمان المؤمنين كافة كما حدث المعصوم عليه الصلاة والسلام ـ يشم من فمه رائحة الكبد المشوى بعد أن حرقت خشية الله قلبه ! ! ويقول : لو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله ! ! وكان عمر يقول : ليت أم عمر لم تلد عمر، وكان تميم الدارى يصلى ليلة عند المقام فبلغ قول الله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » فجعل يبكى ويردد إلى الصباح : ساء ما يحكمون ساء ما يحكمون ! ! . وبلغ الفضيل بن عياض هذه الآية فجعل يرددها وهو يبكى ويقول : يا فضيل . ليت شعرى من أى الفريقين أنت ؟ !

لقد وضح الطريق إلى العزة الإسلامية إذا وضحت هذه المعانى النبوية ، فلشد ما باعدت الغفلة عن الله أقواما عن الصراط السوى ، فهم لا يتعرفون أين أعمالهم من الغى أو الرشد ، ولا يقيمون وزنا لنصيبها من الذم أو الحمد ، ولا تتسع صدورهم للعظة الصادقة يسديها إليهم الناصح الأمين «وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه، وفى آذاننا وقر ومن بيننا

مكتبتنا العربية

و بينك حجاب فاعمل إننا عاملون» وكأنهم أحفاد الأخنس بن شريق الذى قال الله تعالى فيه: «ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام. و إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، و إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد» ورحم الله أبا حفص أمير المؤمنين إذ قال وهو على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله امرأ أهدى الىّ عيوب نفسى».

إننا ننشد المحال إن طالبنا الخلف بكل ما طبع الله عليه السلف من كرائم الخلال ومجيد الخلائق، لكن المجتمع الإسلامى فى عمرة الغفلة عن الله، وتعجل لذائذ الحياة، ما أشد حاجته إلى ملكة المراقبة و إقامة الضمير الرادع عن الإثم، الدافع الى الصلاح، مكانه الهادى من حياتنا. ففى أحاديثنا ينبغى أن نزم شفاهنا على الكلمة حتى يجيز العقل انطلاق اللسان بها، فالكلمة الطيبة ترعى الحق وتؤكد بين الناس الود، وتدنى الأرواح، وتعطف القلوب على القلوب، وعلى نقيض ذلك ماتفعل الكلمة الخبيثة. ولقد بالغ رجل فى أذى أبى ذر رضوان الله عليه فكان يغضى عن أذاه، و يؤثر صلاحه وهداه فيقول له: يا أخى: لا تسرف فى شتمنا ودع للصلح موضعا، واعلم أننا لانكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه، وهو يأخذ نفسه فى ذلك الأدب الرفيع بتوجيه الله عز وجل إذ يقول: «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن، فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم».

.. وفى أعمالنا ينبغى أن نغل جوارحنا عما تريد أن تتحرك إليه حتى ننظر: أحق هو أم باطل؟ فما أكثر الذين اندفعوا الى بعض الأعمال بدون روية ولا استبصار، فلما بدا لهم وخامة ما عملوا شق على فريق منهم أن يعودوا إلى الصراط السوى، واستحب آخرون العمى على الهدى وأصروا واستكبروا استكبارا، فهؤلاء الذين يخسرون الميزان، و يستطيلون على الناس بجاههم، و يمنون عليهم بفضل ما لهم، وهؤلاء الذين يرون من هوان المؤمنين بأيدى المستعمرين مايوجب المناصرة والمؤازرة فلا يجاوزون موقف المتفرج ناسين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» هؤلاء وأولئك يفعلون ما يفعلون فى غيبة خشية الله ومراقبته فيما يأخذون وما يدعون، و إنها لصفة الملائكة المقربين الذين «يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون» وهى من نعوت المؤمنين «الذين هم من خشية ربهم مشفقون». «و يرجون رحمته و يخافون

مكتبتنا العربية

عذابه »وصلى الله على معلم الناس الخير إذ يقول: « عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » وما أكرم هاتين العينين اللتين عبرت إحداهما ببكائها عن حصن الخشية الحصين الذى يصون من التقحم فى معاصى الله ، كما عبرت أختها عن السهر الدائب حتى لا يروع المؤمنين ولا يزعجهم من عدوهم أذى .

أما بعد .. فإن ملكة المراقبة هى طوق النجاة فى حياة الأفراد والجماعات ، وهى السبيل الذى لامعدى عنه لإعادة المجتمع الإسلامى المنشود الذى ساد الدنيا حينا من الدهر بالرفق والسماحة والعدل فى الخصوم والأولياء على السواء ، وهو بهذه الملكة قادر على أن يحل الأخوة والتكافل الإنسانى والسلام الحق مكان التدابر والأثرة الهادمة وتنافس أدعياء السلام فى إعداد وسائل الإبادة والتدمير . فالى مراقبة الله و إلى خشيته و إلى محبة الرحمن الرحيم أيها المؤمنون ما

معوض عوض ابراهيم
الواعظ العام

طريقة العرب فى دراسة العلوم الكونية

فضل العرب على العلوم راجع لدراستهم على طريقة الإسكندرية ، لا على طريقة أثينا وغيرها من مدن اليونان ، فأدركوا سريعا أن العلوم لاتتقدم أبدا بمجرد النظر والتخمين — كما فعلت أثينا — بل لابد من امتحان الطبيعة بالمسائل العملية وعمل التجارب . وكان من أخص مميزات طريقتهم التجارب والرصد ، فاعتبروا الهندسة والعلوم الحسابية وسائل وآلات للتفكير ورياضة العقل . وتراهم فى أكثر مؤلفاتهم العديدة — فى الميكانيكا وعلوم السوائل والبصريات — يحلون المسائل بعمل تجربة ، أو بواسطة رصد بآلة .

هذه الطريقة هى التى مكنتهم من ابتداع الكيمياء ، وابتكار آلات التقطير والتصعيد والصهر والترشيح ، وجعلتهم فى الفلك يرجعون إلى الآلات المدرجة والمقسمة كالربع المجيب والاصطرلاب ، واستعمال الميزان فى الكيمياء ، وعمل جداول الثقل النوعى ... الخ

الدكتور محمد شرف

مكتبتنا العربية

الاله والوجوديون

إن الشعور بالإله أمر مركوز فى الطباع، وفطرة فطر الناس عليها، يشعرون بها فى أعماق قلوبهم و إن عجزوا عن التعبير عنها والكشف عن حقيقتها ، فنرى الناس وهم يسكنون الوديان والوهاد بعيدين عن الحضارة والعمران ، يحسون أن هناك أمرا خارجا عنهم له عليهم السلطان والهيمنة ، يشعرون بعظمته وقوته ولا يدركونه ، وتنطوى نفوسهم على تعظيمه والخضوع له و إن لم يعرفوا من هو هـذا المتسلط عليهم كما ينبغى أن يعرف ، فاختلفوا فى تصوره و إدراكه ، ففريق منهم أدرك أن فى النار مثلا ناحية من نواحى العظمة المخيفة فعبدها واتخذها إلها ، وفريق آخر أدرك أن فى الشمس عظمة فعبدها واتخذها إلها ، وآخر أدرك أن فى البقر أو فى الحجر أو فى الشجر نواحى تملأ نفسه عظمة وجلالا فعبدها واتخذها إلها ، وفريق هداه تفكيره السليم وفطرته الصافية التى لم تتبدل ولم تتغير إلى أن هـذا المتسلط عليهم الذى يهابونه ويخافون عذابه ويرجون رحمته لا بد أن يكون شيئا لا يشبههم ولا يشبهونه ويطعمهم ولا يطعمونه ، لا يحتاج إليهم وهم يحتاجونه ، يحيط بهم ولا يحيطون به ، له كل الكمال وليس يلحقه نقص ، وجاءت الرسل فقوت فى نفوسهم هذا الذى أدركوه بفطرتهم وتصوروه بعقولهم ، ، فمن ضل من الناس فأنما ضل من حيث اعتقاده أن ذلك المهيمن عليه إنما هو النار أو الشمس أو الحجر أو غيرها ، ولم يضل من حيث اعتقاده أن له إلها أو أن هناك شيئا متسلطا عليه ، فهاهنا قضيتان : قضية صادقة رابحة ترى الناس جميعا مفطورين عليها وهى عين الصواب، وهى أن هناك إلها أو قوة يخضع لها ويدرك عظمتها ، وقضية أخرى خاطئة خاسرة وهى أن ذلك الإله أو تلك القوة هى النار أو الشجر أو الحجر أو أى شىء آخر متصف بصفات المخلوقين، ولا يلزم من كذب الثانية كذب الأولى، ألا تسمع إلى قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم » أى اعتقد أن الإله هو الهوى فأضله الله، ولو اعتقد أن الإله هو الله لكان على هدى ومعتقدا عقيدة صحيحة لا غبار عليها ولا خطأ فيها .

لعلك أيها الناظر أدركت أن الشعور بالإله أمر فطرى عند جميع الناس ، ولكن مما

مكتبتنا العربية

يؤسف له أشد الأسف و يدمى القلوب حقا أن تظهر فى الناس فئة تسمى الوجودية تنكر الإله وتنكر كل شيء فيه خير وسعادة .

إنى أريد أن أناقش تلك الفئة الخاطئة التى ركبت رأسها وتمارت فيما هو مركوز فى قرارات النفوس و يشعر به كل إنسان ، ولا أريد أن أستدل لهم بكتاب أو سنة ولا بقول الصحابة أو الأئمة ، فربما يقولون : لا نقر بهذا ولا نعترف به بل لعلهم قالوها فعلا واعتنقوها عقيدة .

و إنما أريد أن أحاكمهم إلى العقل و إلى العقل وحده ، فأنظر فى كلامهم أنفسهم وأعرضه على العقل ، فأن قبله العقل وارتضاه التزمته أنا نفسى وآمنت به ، وان أباه العقل و رفضه رفضا باتا وأظهر أنه خرافة من الخرافات وجب عليهم أن يقبلوا حكمه و إلا كانوا مجانين أولى بهم أن يعكفوا فى سراى المجانين .

استمع إلى المؤسس الأول لهذا المذهب (مذهب الوجودية) كيركجورد كيف يصور مذهبه و يشرحه للناس يقول : « لا يصح أن نقول الله موجود» ولماذا لا يصح أن نقول هذا القول أيها الهاذى؟ « لأن الموجود هو الإنسان، والذى يتغير هو الإنسان فله زمان، أما الله فلا زمان له فهو غير موجود لأنه لازمان له ، بل هو كائن » انظر أيها القارئ إلى دليل هذا الرجل على أن الله ليس بموجود ، ودع عنك ركة أسلوبه وتهافت تعبيره واضطرابه ، ولكن تأمل فى المعنى الذى يرمى إليه فهو يستدل بزعمه على عدم وجود الله بأنه لا يتغير ولا زمان له و إنما الذى يتغير و يمر عليه الزمان هو الإنسان فهو الموجود . ولست أدرى أى تفكير هذا الذى يأخذ من ثبات الشيء وعدم تغيره أنه معدوم ، و إذن فماذا يقول هذا الرجل فى الجبال الراسيات ، والبحار المحيطات ، والأرض والسموات ، وهو قطعا قد رآها طول حياته غير متغيرة ، أفيقول إنها غير موجودة، أوماذا عساه يقول ؟ قد يقول إنها يمر عليها الزمان ، ونقول ما دليلك على هذا وهى لم تتغير أبدا ؟

استدل العقلاء المفكرون بالتغير ومرور الزمان على الحدوث الأخص من الوجود إذ الوجود يعم القديم والحادث ، واستدلوا بعدم تغير الله سبحانه وعدم مرور الزمان عليه على أنه قديم إذ أنه موجود قبل الزمان فلا يقاس وجوده بالزمان إذن ، ومن كان

مكتبتنا العربية

هذا شأنه كان موجودا قديما ، وهـذا كما ترى استدلال يتمشى مع العقل السليم والتفكير السديد ، ولـكن فساد عقل هذا الرجل جعله يستدل بمـا يثبت القدم على العدم . تفكير معكوس ومنطق مقلوب ، ثم استمع إليه بعد حكمه على الله بأنه غير موجود ! ! (سبحانه وتعالى) يقول : « بل هو (أى الله) كائن » هل معنى هـذا عنده أن الـكائن شيء غير الموجود؟ فمـا هو ؟ وما حقيقته ؟ وهل الـكائن بأى معنى أراده يقال إنه غير موجود ؟ إن زعم ذلك فمـا دليله وما وجهته ؟

الذى نعرفه فى معنى كلمة (كائن) أنه موجود أو ثابت أو واقع أو حادث أو غير ذلك مما لا يخلو عن معنى الحدوث والوقوع ، وإذن فقـد أثبت لله سبحانه الوجود بعد أن نفاه عنه ، ويدلك على أنه يخلط فى القول ويلقيه بلا وعى ولافهم أن ذلك كان منه فى عبارة قصيرة قرب أولهـا من آخرها (الله غير موجود لأنه لا زمان له بل هو كائن) .

على أنه أطلق هذه الـكلمة « كائن » بنصها على أبيه فى عبارة له يذكرها عنه لما مات جميع أخوته وبقى أبوه وقد نيف عن الثمـانين حيث يقول : « أبصرت فى أبى (كائنا) شقيا كتب عليه أن يعيش بعدنا جميعا » كأنه فرض نفسه ميتا حيث يقول بعدنا جميعـا (وأحسبه فى هذا صادقا فأن مثله ميت الأحياء) . فالمعنى الذى أراده من هـذه الـكلمة بجانب أبيه ما هو ؟ إن أراد أن معناها بجانب أبيه الموجود وجب أن يراد هـذا المعنى بعينه بجانب الله ، وإن كان معناها غير الوجود كان قد أثبت على أبيـه أنه غير موجود مع أنه إنسان يتغير وله زمان ، وإن أراد أن لهـا بجانب الله معنى يغاير معناها بجانب أبيه طالبناه بالدليل ولا دليل عنده ، بل هو متخبط غلبت عليه شقوته .

ثم انظر إليه وهو ينعى حال أسرته ويتوجع لمـا يقول : لقد كتب على هذه الأسرة أن يسلط عليها عقاب الله فتبيد . أين هو الله بحسب زعمك يا أبله ؟ إنك تعتقد أنه غير موجود ، فـكيف يسلط العقـاب عليك وعلى أسرتك ؟ ألم أقل أنه يخلط ويلقى الـكلام بلا وعى ولا إدراك ، ولذلك يملأنى العجب والألم الممض أن أرى أناسا فى الدنيا يتبعون هذا الرجل وهو يهذى هذيان المجنون .

ثم انظر إليه وهو يتبرم ويضجر ويئن ويتألم مما أصابه ونزل به فيقول : لمـاذا كانت تسعة أشهر قضيتها فى بطن أمى كفيلة أن تجعل منى رجـلا عجوزا ؟ لمـاذا لم أولد

مكتبتنا العربية

فى النعيم ؟ ولماذا ولدت فى الألم وللألم ؟ ولماذا انفتحت عيناى لا لترى الهناء بل لتغوص فى دنيا الزفرات وحدها دون أن أملك الخلاص منها ؟ . ألا يكون نزول هذه المصائب به واجتماعها عليه وهو لا يحبها ولا يميل إليها ولا يرغب فيها ثم لا يجد منها فكاكا ولا يملك لها خلاصا . ألا يكون نزولها به دليلا واضحا ـ لو فكر أدنى تفكير وتأمل قليلا ـ على أن هناك وراء محيطه ومحيط العالم كله قوة قاهرة لها عليه وعلى غيره السلطان والغلبة، تصب عليه ماتشاء من غضب ونقم، وتنزل بغيره الرحمة وتوليه النعم، وماذا عساها تكون تلك القوة القاهرة إلا الله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

هل يعرف الشيء ويستدل عليه إلا بآثاره الناشئة عنه ، وهل هذه الآثار جميعا لا تدل فى نظر هذا الرجل على أن هناك موجدا لها وهى تنادى باحتياجها الدائم وفقرها المتأصل إلى من يدفع عنها حاجتها ويصون لها وجودها . إن لم يكفه هذا فى الدلالة على وجود الله سبحانه ، فهو إذن ليس من فصيلة الإنسان .

لست أعجب أن يهذر هذا الرجل فى كلامه ويهذى ، فقد يكون به جنة أو مسه طائف من الشيطان ، ولكن عجبى الشديد أن أرى أناسا يزعمون أنهم عقلاء مفكرون، وأنهم حكماء مثقفون تثقيفا عاليا ، يقلدون هذا الرجل فى ترهاته وأباطيله ، ثم لم يكفهم أن يجعلوا ذلك لأنفسهم فحسب بل أخذوا يلقنونه فى الجامعات وغير الجامعات للشبان الأطهار البرءاء بمعسول كلامهم المموه بالطلاء الكاذب طلاء الحرية الزائفة، حتى اغتر بهم بعض الشباب فطلق عقله وركب رأسه ورفع عقيرته يقول : « سأعلم ابنى كيف يكون بلشفيا ، وبنتى كيف تكون عاهرة » . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، أين الشهامة ؟ وأين الرجولة والكرامة ؟ وأين العزة التى كانت لآبائك العرب الأمجاد ، لعله من ذرية فرعون .

أسأل الله له ولغيره ممن أضلهم الله على علم أن يهديهم سواء السبيل ، ويبصرهم عاقبة ما هم فيه ، إنه ولى التوفيق، وهو الرءوف الرحيم.

محمد الطنيخى

« للبحث بقية » عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

مكتبتنا العربية

من تاريخ الاسلام :

الفتوح الاسلامية الكبرى

« مناقشة الدكتور محمد هيكل فى رأيه حول بدء الفتوح »

كان أول عمل قام به أبو بكر الصديق رضى الله عنه هو تسيير جيش أسامة على الرغم من معارضة كثير من الصحابة فى ذلك، لأنه رأى فى تسييره مناورة حربية وسياسية، تشعر أعداءه وأعداء المسلمين فى الداخل والخارج بقوة الحكومة، وثبات مركزها، ثم أمن الإسلام فى موطنه بالقضاء على فتنة الردة، وبعد أن أمنه التفت إلى دفع الخطر الخارجى عنه بالقضاء على أعدائه، وهو فى هذا لم يكن إلا منفذا للسياسة التى وضع أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم، فى إرساله الكتب والبعوث إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان برسالته، ووضحت فى غزوه للروم، والغساسنة الخاضعين للروم على حدود الشام، لما سخروا من دعوته، واعتدوا على رسله، وقتلوا أصحابه - غزوة تبوك وسرية مؤته - وإذن فالصديق إنما كان ينفذ خطة موضوعة، ولم يكن القصد منها ولا الباعث لها إلا دفع الأذى وحماية الطريق، والتمهيد لنشر الدين بالحسنى إن تيسر ذلك، فأن اعترض هذه الدوافع صعاب عمل على تذليلها وإزالتها بالقوة، وهى خطه لا هجوم فيها ولا تهجم، ولكن هل كان من الخطة الموضوعة فتح الشام أوفارس؟ يرى الدكتور فى كتابه (الصديق أبو بكر ص ٢٢٤ و ٢٢٥) أن جل غرض الرسول اتجه إلى تأمين التخوم العربية فى الشمال من جنود قيصر، وأنه لم يدر بخواطر المسلمين أن يغيروا على الشام أو أن يتخذوا من دعوة هرقل للاسلام سببا للاغال فيه، ثم يتساءل فيقول : ترى أيقيم أبو بكر على هذه السياسة ولا يتعداها وله فى رسول الله أسوة حسنة . ؟ أم يغامر بحرب قيصر، والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء، ويرى أن هذا الخاطر كان يدور بنفس أبى بكر حينما كان النصر يحالف أعلامه فى حروب الردة، وأن أبا بكر كان أحصف من أن يستنيم لهذا النصر، فينسى به ماتنطوى عليه صدور العرب من حفيظة قد تضطرم فتضرم نار الثورة كرة أخرى، فأن من الخير أن تتجه أنظار العرب إلى ما وراء الحدود

مكتبتنا العربية

من شبه الجزيرة فتنسى بذلك حفائظها وأحقادها ، وبادية الشام تنتشر فيها قبائل العرب، بحدير بها أن تسمع الدعوة إلى الدين الجديد كما سمعها العرب فى شبه الجزيرة .

ثم يقول فى ص ٢٢٦ : لكن غزو الروم مخاطرة إن لم يحالف النصر فيها أعلام المسلمين تعرضت شبه الجزيرة لشر من الثورة التى أخمدتها حروب الردة ، تعرضت للروم وحكمهم ، تعرضت بذلك لكارثة تجتث حكم المدينة ، وقد تفتن المسلمين عن دينهم ، ومنازلة الروم ليست هينة .

ويقول عن فارس فى ص ٢٢٧ : ولم يدر التفكير فى محاربة الفرس بخاطر أبى بكر، فالحجاز لا يتصل بفارس والبلاد العربية التى تتاخم الفرس هى التى فشت فيها الردة ، ويتعذر لذلك أن يعتمد أبو بكر عليها أو يأمن لها فى غزو دولة لا يزال لها مع ظفر الروم بها جيوش جرارة وموارد كثيرة .

أفلا يجمل بالخليفة أن يوجه همه إلى توطيد الأمن فى مختلف الأرجاء من شبه الجزيرة لتنضم كلها فى وحدة تزيدها قوة ، وتزيد سياستها اتساقا ؟ ؟

وإن أبا بكر ليفكر فى هذا وفى مثله إذ ترامت إليه الأنباء بأن المثنى بن حارثة الشيبانى قد سار بقواته شمالا فى البحرين حتى وضع يده على هجر والقطيف ، وحتى بلغ مصب دجلة والفرات وأنه قضى فى مسيرته هذه على الفرس وعمالهم ممن عاونوا المرتدين بالبحرين، وسأل أبو بكر عن هذا المثنى ؟ ومن هو ؟ وإلى أى قبيلة ينتسب ؟ فعلم أنه رجل يمكن الاعتماد عليه .

وحينئذ فكر فى فتح العراق :

والخلاصة أن الدكتور هيكل يرى :

١ — أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفكر فى شىء سوى تأمين الحدود من جنود قيصر .

٢ — وأن أبا بكر تردد فى : أنه هل يسير على سياسة الرسول ، أم يتعداها فيغامر بحرب قيصر ؟ لأنه لا بد له من أن يدفع العرب الى وراء الحدود حتى لا يثوروا مرة أخرى .

٣ — وأن أبا بكر — فضلا عن الرسول — لم يفكر فى فتح فارس ، وله فى هذا مبررات .

مكتبتنا العربية

٤ — وأن الأفضل له أن يوطد الأمن فى شبه الجزيرة .

٥ — وأنه بينما يفكر فى هذا ومثله إذ وصلت إليه أخبار المثنى بن حارثة وانتصاراته على الفرس فى هذا الوقت ، وفى هذا الوقت فقط فكر فى فتح فارس ، وأن هذا المثنى قد يكون خير طليعة لتنفيذ هذه الفكرة . هذا مايراه الدكتور هيكل فى بدء الفتوح الإسلامية

رأينا : ونحن نرى أن فتح الشام والعراق كان سياسة قد وضع أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم وأن أبا بكر قد نفذ هذه السياسة ، ولو أن حياة الرسول امتدت زمنا لأرسل إليها الجيوش ، وأدلتنا على ذلك هى :

١ — أن دعوة الرسول كانت لسائر العالم بنص القرآن والسنة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا [١] » وقال : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله [٢] » وقال : وقاتلوا المشركين كافة [٣] » ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : بعثت الى الأحمر والأسود : ويقول : أيها الناس . إنى رسول الله إلى الناس كافة . إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التى تدل دلالة قطعية على أن رسالة الرسول للناس كافة . وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة . كما أجمع المؤرخون على أن الرسول أرسل الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم الى الإسلام ، على أساس أن رسالته للناس كافة لا للعرب خاصة .

٢ — نرى أن الواقع يؤيد ما قلناه عن سياسة الرسول نفسه ، إذ أنه — بعد تأمين طريق الدعوة بعقد صلح الحديبية ، ودخول بعض القبائل العربية فى محالفته — أرسل الكتب إلى أكثر ملوك الأرض يعلنهم بدعوته ، ويطلب منهم اتباعه ، وهذا مايعرف بالهجوم السلمى .

٣ — إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بفتح فارس والروم فى كثير من الأحاديث ، من ذلك ما رواه مسلم عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا فتحت عليكم خزائن الفرس والروم ، أى قوم أنتم ؟ ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : كما

---

(١) سورة سبأ آية ٢٧ (٢) التوبة آية ٣٢ والفتح آية ٢٧ والصف آية ٨
(٣) سورة التوبة آية ٣٥

مكتبتنا العربية

أمرنا الله تعالى : فقال صلى الله عليه وسلم ، بل تتنافسون وتتحاسدون ، ثم تتدابرون وتتباغضون . وما رواه البخارى عن عدى بن حاتم الطائى قال :

بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه رجل آخر فشكا إليه قطع الطريق ، فقال يا عدى : هل رأيت الحيرة ؟ قلت لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال لئن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ما تخاف أحدا إلا الله تعالى (قلت فيما بينى و بين نفسى : فأين دعار طيئ الذين سعروا البلاد؟)، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كنوز كسرى بن هرمز؟ . قال : كنوز كسرى بن هرمز ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز !

وما رواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم : إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، و إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، فوالذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله تعالى .

وما رواه البخارى أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فأن لهم رحما وذمة .

وقد وعد الله رسوله والمؤمنين بنصره فقال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » [١] ، وأكد هذا الأمر عند المسلمين ، وعد الرسول لسراقة بن مالك يوم هاجر من مكة بسوارى كسرى ، ووعده لرجل آخر اسمه شويل ـ كان قد أسلم ـ وسمعه يبشر بفتح الحيرة، فطلب منه أن يعطى له كرامة بنت عبد المسيح سيد الحيرة إذا تم للمسلمين فتحها ، وقد تحقق هذا بعد الفتح .

٤ ـ لو فرضنا أن محمدا كان مصلحا اجتماعيا أو سياسيا، وليس برسول وله نظريات يريد أن يعتنقها الناس، أليس من البدهى أن يعمل على نشر مبادئه بكل ما أوتى من قوة؟ وهو قد جاهد حتى دانت له شبه الجزيرة ، وأصبح قوة يحسب لها حساب . فمن السهل عليه أن يعمم هذه المبادئ التى يدين بها ، و يؤمن أنها خير لصالح المجموعة البشرية . ولنا فى التاريخ القديم والحديث ما يؤيد ذلك ، ففى القديم كان اليونان يعملون على نشر حضارتهم وثقافتهم خارج بلادهم ، والرومان كذلك ، وفى الحديث الأمثلة كثيرة .

(البقية فى الصفحة التالية)

(١) النور آية ٥٤ .

مكتبتنا العربية

الأزهر والثورة

نشرنا بعض أبيات من هذه القصيدة العامرة فى العدد الماضى ؛ وننشرها الآن كاملة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا ... وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها فى كل ناحية ... وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية ... آيات حمد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا ... لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طلائعها ... إلا وجدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الكبرى مذ اندلعت ... كانوا فداء لمذكيها وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب فى لهف ... كانت كتيبتهم للفخر عنوانا

---

٥ — ان المسلمين بعد أن صاروا دولة موحدة، قوية الشوكة، مرهوبة الجانب، كان لابد لهم من البحث عن أمكنة خصبة ، يخرجون إليها ليعيشوا فيها بعد أن استمروا زمنا طويلا فى جزيرتهم المقفرة، وليست هذه الأماكن إلا على حساب فارس أو الروم. وقد كان خفق الصديق رضى الله عنه ما كان يعمل له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونفذ سياسته بحكمة وحزم وقوة . وانتصر المسلمون انتصارا سريعا على أقوى دول الأرض ، وسارت موجه الفتح الإسلامى بقوة هائلة لم يعهدها التاريخ المعاصر ، فلم ينته عصر الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) حتى كانت مملكة الفرس قد انهارت ، وودع هرقل سوريا وداعا لا لقاء بعده ، وصارت مصر ولاية إسلامية ٩

محمود محمد زيادة
المدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

الأزهر والثورة

نشرنا بعض أبيات من هذه القصيدة العامرة فى العدد الماضى ؛ وننشرها الآن كاملة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا ... وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها فى كل ناحية ... وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية ... آيات حمد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا ... لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طلائعها ... إلا وجدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الكبرى مذ اندلعت ... كانوا فداء لمذكيها وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب فى لهف ... كانت كتيبتهم للفخر عنوانا

---

٥ — ان المسلمين بعد أن صاروا دولة موحدة، قوية الشوكة، مرهوبة الجانب، كان لابد لهم من البحث عن أمكنة خصبة ، يخرجون إليها ليعيشوا فيها بعد أن استمروا زمنا طويلا فى جزيرتهم المقفرة، وليست هذه الأماكن إلا على حساب فارس أو الروم. وقد كان خفق الصديق رضى الله عنه ما كان يعمل له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونفذ سياسته بحكمة وحزم وقوة . وانتصر المسلمون انتصارا سريعا على أقوى دول الأرض ، وسارت موجه الفتح الإسلامى بقوة هائلة لم يعهدها التاريخ المعاصر ، فلم ينته عصر الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) حتى كانت مملكة الفرس قد انهارت ، وودع هرقل سوريا وداعا لا لقاء بعده ، وصارت مصر ولاية إسلامية ٩

محمود محمد زيادة
المدرس بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

وما توانى شباب عن مفاخرها ... وكلهم حرس قد خاض ميدانا
للأزهريين صولات مدوية ... كم حررت من قيود الذل أوطانا
وهم ضراغم غاب فى مفاوزها ... لا يستباح حماهم أينما كانا
إن يمسكوا بسلاح فى قوابضهم ... فأن فى قلبهم نورا وإيمانا
أو يجمعوا بين إيمان وأسلحة ... فر العدو زرافات ووحدانا
الأزهرى قوى فى شكيمته ... إن كثر صال ولم يرتد خذلانا
إن العدو على الأبواب فى لهف ... يبغى النزال وكم فى عهده خانا
فلقنوه دروسا فى مواجهة ... حتى يفر من الميدان حيرانا
المستميت إذا ما خاض معركة ... فان يمت وإن أصلوه نيرانا

* * *

حكومة أيقظت فى مصر فتيتها ... ولقنتهم فنون الحرب ألوانا
وما ثناها عن التسليح شرذمة ... لم ترع للعدل بين الناس ميزانا
هذا تسلحه سرا وفى علن ... وذاك تحرمه ظلما وعدوانا
أعطوا وعودا وكانت غير صادقة ... وأسفر الصبح والمستور قد بانا
فكشر الليث عن أنيابه غضبا ... وما استكان لتهديد وما لانا
وجاءنا بسلاح من مصادره ... رغم الذى قيل تضليلا وبهتانا
وعاودت مصر فى فخر كرامتها ... وسجلت موقفا بالعز مزدانا
وأصبحت مضرب الأمثال فى أمم ... حيث ليوثا بوادى النيل شجعانا
إن تنصروا الله ينصركم مناجزة ... وتهزموا الجمع مهما عز أوهانا

السباعى الشناوى
المراقب بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

تعليقات

- ١ -

موقف الثورة من الأزهر

ثورة رشيدة ملهمة

ولم تكن غير ذلك ؛ منذ جالت بها الفكرة فى خواطر الثائرين ، ومنذ هتفت بها ضمائرهم ، ونشطت إليها عزائمهم . . ثم بدت هذه الثورة فى ألوان صادقة من الجهود المتلاحقة ، ولم يعد الإيمان بها والاطمئنان إليها بحاجة إلى الانتظار عند من يترددون فى الإيمان بالأمور الجدية : فضلا عن أن تكون أمورا واقعية ، لها من ذاتياتها ما يشهد بقوتها وصلابتها ، ويبشر باطراد نجاحها : ضرورة أنها صادرة عن أصدق الإيمان بالله وبالوطن ، وقائمة على الاخلاص فى التضحية ، ومتجهة إلى الغايات السامية للنهوض بالأمة إلى حيث تحب لنفسها سؤددا ، وسعادة ، وأمنا ، وعدالة ، ومعايشة كريمة مع الغير . . والى ما هو فوق ذلك : ان كان لهذا فوق يرتجى .

ولكن الذين مردوا على التشكك حيث يجب الإيمان ، ويحقدون عند ما يتحتم الحب والصفاء ، وينازعون وقتما ينبغى الوئام — لم يفهموا روح الثورة ، ولم يتبينوا مسالكها ، ولم يقدروا وجهتها ، فحسبوها تتريث فى نهوضها لتصغى إلى دعوة المفرقين ، أو تغفل عما يبيت لها فتقف إلى جانب المخذلين ، وتشغل نفسها معهم بالهذيان العابث ، فتهدم وتطمس ما يروق لأعداء الوطن هدمه وطمسه ، وقد عجزوا عنه فى غابر الأيام . . . وحسبوها مخدوعة فى زعمهم لها أنهم أوفياء لمصر ، ودعاة إصلاح فيها ، وأنصار لأبطال ثورتها فى خدمة مصر حبا فى مصر .

مكتبتنا العربية

وقد أسرف على أنفسهم هؤلاء الحادعون حينما طرحوا شباكهم ليصيدوا الأزهر فيما يصيدونه ؛ وأسرفوا على أنفسهم حينما توهموا أن أيدى رجال الثورة هى التى تقتنص لهم الفريسة لتمكن لهم بعد أن ينقاضوا جزاءهم من خصوم رابضين هنا وهناك لمصر ، ولكل شيء تعتز به مصر : مما يقوم عليه كيانها ، أو ينبثق منه مجدها ، أو يمتد به صيتها فى الآفاق . أسرف هؤلاء على أنفسهم بزعمهم أن الثورة غير واعية لمجد الأزهر ، أو غير عارفة بشأنه فى الحياة الروحية التى تعيش فى أريجها مصر ، والتى ينبعث نفحها من القاهرة إلى أرجاء العالم كله فيثير لمصر ذكريات ، ويجدد لمصر حبا ، وثقة ، ومناصرة فى كل واد .

وما كانت الثورة إلا مؤمنة بكل ذلك ، وحفيظة على صيانة القرآن من محاولات الماكرين ، وعلى بث الروح الإسلامى فى ربوع الوادى جهد الإمكان ، والثورة التى تضاعف نشاطها ، وتفجأ العالم بأحدث جهودها لتخلق مصر خلقا جديدا ، لا يمكن أن تدخل فى حسابها الإبقاء على النزعات المنحرفة ، ولا أن تفسح للمتحللين طريق الاندفاع وراء التقاليد الطائشة ، ولا يطيب لها أن تتخلى عن القومية المصرية لأراجيف الهدامين ، وإن فرحوا لتسرب عدوى الإباحية إلى بعض الجماعات ، أو لتبجح من لا يعرفون الاحتشام ولا الغيرة ؛ ولم يتعودوا الانحياز إلى الوطنية الجادة المنزهة عن الميوعة ، والتذبذب بين تيارات غريبة علينا ، وجارفة لأمجادنا .

مصر ـ بطبيعتها ، وبتدينها ، وبأزهرها ، وبأصالة الخلق الدينى فيها ـ ليست مستعدة للانسلاخ عن مقوماتها ، التى أبرزت شخصيتها منذ القدم بين جاراتها وغير جاراتها من الدول . فكيف وقد تولى قيادتها وأمورها أناس من أبنائها لحما ودما ، ومن أسرها المحافظة الكريمة ، ومن نبغائها الذين ادخرهم القدر لهذه الساعات المرموقة وللحياة المرجوة التى تعثرت مصر فى الطريق إليها عثرات مدميات ، ثم لم تيأس حتى آلت القوس إلى باريها .

رجال الثورة لا ينقصهم مدح ولا ثناء ، وإنما هى شهادات من واقع نهضتهم ، نبرئ بها أنفسنا من لوثة الجحود التى تستفز الحانقين إلى استدراج الثورة نحو آمال كاذبة ، ولم يكن خافيا أن المسرفين على أنفسهم فى مهاجمة الأزهر والدعوة إلى التخلص من ثقافته الإسلامية إنما يطوحون بسمعة رجال الثورة ، ويعرضونهم للأرجاف فى كل بقعة

مكتبتنا العربية

من البلاد الإسلامية . . أما أن يتم لهم ما تمنوا فذلك شيء ميئوس منه فى برامج أعمال الثورة .

لذلك هبت الثورة فى وجههم منكرة لهذه الصيحات التى استباحوها ، وكان الظن بها أولا أنها صرخة فى واد . .

هبت فى وجههم ، وكشفت عن البواعث التى حفزتهم على المجاهرة بخبثهم ، وعن رغبتهم فى بعثرة المجتمع المصرى تحت أقـدام الاستعمار ، إذ أن رباط المجتمع المصرى فى أوثق أنواعه إنما يكون بدينه ، ورباطه بالشرق كذلك إنما يكون بدينه ، ومركز الدين ومنبع ثقافته هو الأزهر ، الذى يعتبر شريان الحياة الروحية المتصل بمكة والمدينة والممتد إلى أطراف الآفاق .

كما أعلنت الثورة أن الحياة المادية قصيرة المدى وإن عمرت أزمانا ، وأن الدول الاستعمارية التى تعتد بحياتها المادية وشيكة الانهيار يوما ما ، وبهذا تجاوبت الثورة مع الواقع الحق ، ومع شعور المسلمين فى بقاع الأرض ، وعرف الناس أن الغامزين فى الأزهر يدفعهم إلى ذلك حرصهم على الدولار ، والفرنك ، وعلى البنكنوت الجديد الجذاب . . أما مصر ، ودينها ، وشعبها ، ومجدها ، وسلامتها من الدخلاء ، وحراستها من سموم الاستعمار ، فليست فى شيء من حسابهم .

ولكن الله حرس مصر ، وسيحرسها بأزهرها وبأبطالها ، ويحميها على يدهم من الماكرين بها ، وسيحوطها بعاصم من جهود رجالها ، حتى يشمخ بناؤها أكثر مما هو شامخ ، فلا يطمع فى هدمها دخيل ولا غوى مأجور ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش

— ٢ —

كلية علمية خاصة للبنات

كتبنا مرة : شاكرين لرجال الثورة عزمهم على إنشاء كلية خاصة بالبنات ، وأنكرنا فى شيء من الأسف والعجب على الدكتور طه حسين أن يمتعض لهذه الفكرة ويتنكر لها

مكتبتنا العربية

فى شىء من السخرية : لا لشىء غير أنها خاصة بالفتيات . . .

واليوم نجدد غبطتنا لهذه الفكرة التى أخذت طريقها الى الظهور عما قريب ، والتى حدثتنا عن مشروعها من جديد، المربية الفاضلة السيدة أسماء فهمى بوزارة التربية والتعليم.

إذ قررت « بعد عودتها من أمريكا والاطلاع على ما هناك » أننا لن نكون رجعيين ولا متخلفين إذا أنشأنا كلية خاصة بالبنات ، وضربت لنا الأمثال بما شهدته فى أمريكا وعلمته عن وجود ١٥٤ كلية خاصة بالبنات الخ .

وهـــذه لفتة أكيدة الى صواب ما تعتزمه الحكومة وأخذت فى تنفيذه للنهوض بالمستوى الثقافى النسوى إلى خير مما تورطنا فيه بفضل الدكتور طه حسين منذ كان عميدا لكلية الآداب ! ! .

ويا ترى ! ! ما قيمة هذه اللفتة عند دعاة الاختلاط الذين لا يروقهم أن نأخذ بهذا النظام ، ونعود فى كرامة ورفق الى شىء من الحفاظ على فتياتنا الخفرات ؟ ؟

لو كانت هذه الفكرة بدعا فى نظم التعليم لجاز للأباحيين أن يسخروا منها ، ويسموها رجعية أو أحط منها . . ولكن ما بالهم والأمريكيون هم الآخذون بها والحريصون عليها ، وهم الذين يرون الاختلاط ـ كما حدثتنا مربيتنا الفاضلة ـ يشغل الفتيات عن الجد والنشاط العلمى الى العناية بالملابس والزينة ، وما إلى ذلك مما لا يفكرن فيه فى حالة عدم وجود الشبان ؟ ؟

وكأن الأمر عند الأمريكيين ليس أمر اشتغال الفتيات عن الجد والنشاط بالملابس والزينة الخ ، وإنما هو أمر آخر يدفع بهن الى العناية بالملابس والزينة بين الشبان . .

وإنما اكتفوا عن التصريح به بتلك الكلمات المهذبة التى تحجب ما وراءها عن الأفهام . . والذى نشهده أن تهافتنا على التقليد فى الاختلاط لم يفدنا بقدر ما أضرنا . ومهما يقل القائلون إننا جامدون نزع إلى الرجعية ، ونتحكم فى الفتيات لنحول بينهن وبين الحياة الجديدة ، فأنا على رأينا فى أن هذه ميوعه ، وتحلل ، وثورة على الحياء الذى تتجمل به الفتاة الشرقية . . وكان يمكن جدا ، ولا يزال ممكنا جدا ، أن نعطيها نصيبها سخيا من الثقافة مع البقاء على أنوثتها أن تمسخ أو أن نخلطها برجولة تقليدية ، وبين الأنوثة والرجولة المصنوعة تضيع ميزات وميزات . وإن يكن خلط الأنوثة بالرجولة فى نظر دعاته مظهرا للمدنية التى يعشقونها ، فقد كذبت نظريتهم فى نظام الأسر التى تسرب إليها الاختلاط : إذ تهدمت تلك الأسر ، أو تصدع بناؤها ، وهو دائما وشيك الانهيار . وبين جدران البيوت مآس

مكتبتنا العربية

مبكية ، وليس لهـا فيما سمعنا وعرفنا سبب غير فقدان الحياء ، والتأثر بروح التجديد التى استفزت هواية الغواة . وإلى جانب هذه الأسر التى نـكبها التجديد وجرفها الاختلاط لم يحصل أو لم نسمع أن أسرة تراخت روابطها ، وفترت المحبة بين طرفيها ، بسبب التعفف والاحتشام والترفع عن المظان .

وهذا هو نظام الإسلام الذى أحكمه وأختاره ليصون على الأسر كرامتها ، ويحفظ على البيوت أمنها وهناءتها ، وهو النظام الذى جهلته أمم غير إسلامية ، أو عرفته ولـكنهـا تجافت عنـه وعابته ، وشطحت وراء الميول والرغبات ، ثم لمـا تقدمت بهـا المدنية ، واتسع لها الأفق ، وكثرت لديها التجارب ، بدأت تحاوله وتجنح إلى الأخذ به ، لا على أنه إسلام ، ولـكن على أنه الإصلاح الذى تقتضيه المدنية الصحيحة .

فهل لدعاة الاختلاط بيننا أن يذكروا للإسـلام أدبه ، ويكفوا عما يلحون فيه ، ويستحيوا من هذا اللجاج فى الباطل ، وأن يستغفروا الله ، ويعتذروا إلى الوطن عما أفرطوا فيه ، وأسرفوا فى التهافت عليه ، حتى ابتعدنا عن تقليد كريم ، ودين قويم ، وأخـذنا نلتقط من تقاليد الغير ما يحاولون نبذه والانسلاخ منه ؟ ؟ .

سيقولون : إن هذا وعظ نسمعه ، ومن عادة الوعاظ أن يبالغوا . . .

لا : والله ! ! ما قصدنا وعظا خطابيا ، وإنما هو علاج لمرض تفشى ، ودرء لخطر يحدق ، وحفاظ على هناءة تلاشت ، ورحمة بأبناء تصرمت حبال الود بين أبويهم بسبب الفرنجة والتجديد والانزلاق .

وذلك كله فساد فى المجتمع ، وشؤم على مرتـكبيه بالذات ، وعلى غيرهم بالتبع ، وقد عم بلاؤه أو كاد . ونحن نبلغ ما أمرنا بتبليغه ، ونتناهى عن المنكر لئلا نـكون كبنى إسرائيل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وإذا ترك الحبل على الغارب ، وظل دكاترة الاختلاط يموجون فى هذه التخرصات ، ثم يموج بعضهم فى بعض فسنصبح فى مهب الريح ، وتـكون نهضة مصر الحديثة فى شىء من الوهن الخلق . والله يقول : « واتقوا فتنـة لا تصيبن الذين ظلموا منـكم خاصة » ويومئذ لا يغنيها عن ضررها واحد أو مئات من دكاترة الاختلاط ما

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء ـ ومدير التفتيش بالأزهر

مكتبتنا العربية

— ٣ —

ما هو الهدف ؟

دأب بعض الصحف فى هذه الأيام على غمز رجال الدين بالقول والإشارة والتصوير فى بعض المناسبات، وتعوزها المناسبات أحيانا فتتصيدها تصيدا لتتحدث عنهم بالأسلوب النازل الممقوت أسلوب التهكم والتشهير، كما تحرص على أن تذكر حوادثهم فى صور بارزة تلفت الأنظار والأسماع .

وإنا لا ندعى العصمة لرجال الدين فننزههم عن الخطأ كما يدعى غيرنا، وما رجال الدين إلا بشر يصيبون ويخطئون كما يصيب غيرهم ويخطئ ، إلا أن الذى نستطيع أن ندعيه أن أكثرهم ممن منحهم الله نعمة التوفيق ، فاستقاموا على الطريق — وقد يزل أحدهم — ولكن لا ينبغى أن تتخذ زلة فرد أو أفراد وسيلة إلى التشهير بهم جملة وتصويرهم بصور الخاطئين الضالين .

ونخشى أن يكون وراء هذا التشهير هدف خطير هو التشكيك فى أخلاق رجال الدين وفقدان الثقة بهم ، وازالة ما لهم فى قلوب الناس من إجلال واحترام وتوقير لينصرف الناس عنهم ، وبالتالى ينصرفون عن الدين ، وإن صح ظننا كان الهدف أخطر سلاح يوجه إلى جمهورينا الناشئة ، فالدين وحده صمام الأمان والاستقرار فى الأمم ، وما تجردت أمة عن دينها إلا زعزع أمنها واختل نظامها ، وكانت هدفا للمبادئ الخطرة والدعوات الضالة الهدامة .

ولا نظن أن هؤلاء يهدفون إلى هذه الغاية بوحى من نفوسهم، بل لابد أن هناك دوافع ومغريات تغرى هؤلاء بما يفعلون ، فقد تعودنا من أمثالهم أن يكونوا مطايا تساق بسياط المطامع والشهوات، حتى يبلغ بها ذوو الأغراض أغراضهم ؛ ثم يسرحونها ليستخدمها غيرهم ، وهكذا دواليك ، وإنهم لهذا جرثومة فساد فى الأمة، على من يعنيهم أمرها أن يطهروها منهم ، ويحفظوها من وبائهم ، قبل أن يتمكن الداء ويعز الدواء ما

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

رسالة الأزهر الشريف اليوم

عقد فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة مؤتمر لبحث رسالة الأزهر ، افتتحه رائد الجمعية الدينى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى ، وتكلم فيه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى ، وأصحاب الفضيلة الشيخ كامل محمد حسن ، والشيخ عبد الرحيم فودة ، والشيخ عبد المنعم النمر ، والشاعر محمد بدر الدين .

وأصدر المؤتمر القرارات الآتية :

١ — ان السهام التى توجه إلى الأزهر محاولة النيل منه أو الغض من شأنه ، ليست موجهة إلى أبناء الأزهر بقدر ما هى موجهة إلى رسالة الأزهر الكبرى التى تدور حول الإسلام ولغة القرآن .

٢ — الأزهر الشريف هو المفخرة الكبرى لمصر العربية الإسلامية ، وكل تعويق للأزهر عن السير فى طريقه يعد تعويقا لمصر عن حراستها لسمعتها الكريمة ، بين أبناء البلاد العربية والإسلامية .

٣ — من واجب الدولة أن تبسط للأزهر ورجاله الأسباب الموصلة لتحقيق رسالته ، وليتم التعاون بين ولاة الأمر فى الدولة وفى الأزهر لبناء الوطن المؤمن السليم فى عقائده ، وأخلاقه ، وتفكيره .

٤ — قد يكون من وسائل التمكين للعلماء من أداء رسالتهم ، أن تصدر الدولة تشريعا يقضى بتجنيد بعض الأزهريين المختارين من معسكرات الأزهر التدريبية ، لتكون مهمتهم مقاومة المنكرات الشائعة ، فى المجتمع بصورة عملية ويكون لهم الامتيازات المكفولة لبوليس الآداب ، ويسمون « الحرس الدينى الاجتماعى » كما يكون لهم شعار خاص يعرفون به بين الجمهور .

٥ — من واجب الأزهر أن يسارع إلى الأخذ بأسباب الإصلاح الجدى الصحيح ، حتى يستقيم الركب الأزهرى على الطريق الموصل إلى تحقيق رسالته الإسلامية ، والعربية ، والقومية .

٦ — يأمل الأزهر من الدولة أن تفسح أمام الأزهريين مجال العمل فى المدارس ، وفى القضاء ، وفى الإذاعة ، وفى كل مجتمع يحتاج إلى دعاة ومرشدين .

مكتبتنا العربية

الفتاوى

الصلح مع إسرائيل

والتعاون والتحالف مع دول الاستعمار

اجتمعت لجنة الفتوى بالجامع الأزهر فى يوم الأحد ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ الموافق (أول يناير سنة ١٩٥٦) برياسة السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف عضو جماعة كبار العلماء ومفتى الديار المصرية سابقا وعضوية السادة أصحاب الفضيلة الشيخ عيسى منون عضو جماعة كبار العلماء وشيخ كلية الشريعة سابقا (الشافعى المذهب) والشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء (الحنفى المذهب) والشيخ محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء ومدير الوعظ والإرشاد (المالكى المذهب) والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر (الحنبلى المذهب) وبحضور الشيخ زكريا البرى أمين الفتوى .

ونظرت فى الاستفتاء الآتى وأصدرت فتواها التالية

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد — فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الاسلامية فى ابرام الصلح مع اسرائيل التى اغتصبت فلسطين من أهلها ، وأخرجتهم من ديارهم ، وشردتهم نساء وأطفالا وشيبا وشبانا فى آفاق الأرض ، واستلبت أموالهم ، واقترفت أفظع الآثام فى أماكن العبادة والآثار والمشاهد الاسلامية المقدسة ، وعن حكم التواد والتعاون مع دول الاستعمار التى ناصرتها وتناصرها فى هذا العدوان الأثيم ، وأمدتها بالعون السياسى والمادى لإقامتها دولة يهودية فى هذا القطر الإسلامى بين دول الإسلام ، وعن حكم الأحلاف التى تدعو إليها دول الاستعمار ، والتى من مراميها تمكين إسرائيل من البقاء فى أرض فلسطين لتنفيذ السياسة الاستعمارية ، وعن واجب المسلمين حيال فلسطين وردها إلى أهلها ، وحيال المشروعات التى تحاول إسرائيل ومن ورائها

مكتبتنا العربية

الدول الاستعمارية أن توسع بها رقعتها وتستجلب بها المهاجرين إليها ، وفى ذلك تركيز لكيانها ، وتقوية لسلطانها ، مما يضيق الخناق على جيرانها ، ويزيد فى تهديدها لهم ، ويهيئ للقضاء عليهم .

* * *

وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل ـ كما يريده الداعون إليه ـ لا يجوز شرعا ، لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار فى غصبه ، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه ، وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه . وقد أجمعت الشرائع السماوية والوضعية على حرمة الغصب ووجوب رد المغصوب إلى أهله ، وحثت صاحب الحق على الدفاع والمطالبة بحقه . ففى الحديث الشريف : (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) وفى حديث آخر :(على اليد ما أخذت حتى ترد). فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلا اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين ، واعتدوا فيها على أهلها وعلى أموالهم : على أى وجه يمكن اليهود من البقاء كدولة فى أرض هذه البلاد الإسلامية المقدسة ، بل يجب عليهم أن يتعاونوا جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها ، وصيانة المسجد الأقصى مهبط الوحى ومصلى الأنبياء الذى بارك الله حوله ، وصيانة الآثار والمشاهد الإسلامية ، من أيدى هؤلاء الغاصبين ، وأن يعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد فى هذا السبيل ، وأن يبذلوا فيه كل ما يستطيعون ، حتى تطهر البلاد من آثار هؤلاء الطغاة المعتدين ، قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . ومن قصر فى ذلك ، أو فرط فيه ، أو خذل المسلمين عنه ، أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والاسلام وضد هذا القطر العربى الاسلامى ، فهو ـ فى حكم الإسلام ـ مفارق جماعة المسلمين ، ومقترف أعظم الآثام . كيف ويعلم الناس جميعا أن اليهود يكيدون للاسلام وأهله ويباردأشد الكيد ، منذ عهد الرسالة إلى الآن ؟ ! وأنهم يعتزمون ألا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى ، وإنما تمتد خططهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات . وإذا كان المسلمون جميعا ـ فى الوضع الإسلامى ـ وحدة لا تتجزأ بالنسبة إلى الدفاع عن بيضة الإسلام ، فأن الواجب شرعا أن تجتمع كلمتهم لدرء هذا الخطر والدفاع عن البلاد

مكتبتنا العربية

واستنقاذها من أيدى الغاصبين قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقال تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» وقال تعالى : « الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية، وتمدها بالمال والعتاد، وتمكن لها من البقاء فى هذه الديار، فهو غير جائز شرعا ، لما فيه من الإعانة لها على هذا البغى والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الإسلام ودياره . قال تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقال تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

وقد جمع الله ـ سبحانه ـ فى آية واحدة جميع ما يتخيله الإنسان من دوافع الحرص على قراباته وصلاته وعلى تجارته التى يخشى كسادها بمقاطعة الأعداء ، وحذر المؤمنين من التأثر بشىء من ذلك واتخاذه سببا لموالاتهم فقال تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ولا ريب أن مظاهرة الأعداء وموادتهم يستوى فيها إمدادهم بما يقوى جانبهم ويثبت أقدامهم بالرأى والفكرة، و بالسلاح والقوة: سرا وعلانية، مباشرة وغير مباشرة. وكل ذلك مما يحرم على المسلم مهما تخيل من أعذار ومبررات .

ومن ذلك يعلم أن هذه الأحلاف ـ التى تدعو إليها الدول الاستعمارية، وتعمل جاهدة لعقدها بين الدول الإسلامية ، ابتغاء الفتنة، وتفريق الكلمة ، والتمكين لها فى البلاد الاسلامية، والمضى فى تنفيذ سياستها حيال شعوبها ـ لا يجوز لأية دولة إسلامية أن تستجيب

مكتبتنا العربية

لهـا وتشترك فيها، لمـا فى ذلك من الخطر العظيم على البلادالإسلامية ، و بخاصة فلسطين الشهيدة التى سلمتها هذه الدول الاستعمارية إلى الصهيونية الباغية نـكاية فى الإسلام وأهله وسعيا لإيجاد دولة لها وسط البلاد الإسلامية، لتكون تكأة لها فى تنفيذ مآربها الاستعمارية الضارة بالمسلمين فى أنفسهم وأموالهم وديارهم ، وهى فى الوقت نفسه من أقوى مظاهر الموالاة المنهى عنها شرعا والتى قال الله تعـالى فيها : « ومن يتولهم منكم فأنه منهم » . وقد أشار القرآن الـكريم إلى أن موالاة الأعداء إنمـا تنشأ عن مرض فى القلوب يدفع أصحابها إلى هذه الذلة التى تظهر بموالاة الأعداء فقال تعـالى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » .

وكذلك يحرم شرعا على المسلمين أن يمكنوا إسرائيل ـ ومن ورائها الدول الاستعمارية التى كفلت لها الحماية والبقاء ـ من تنفيذ تلك المشروعات التى لا يراد بها إلا ازدهار دولة اليهود و بقاؤها فى رغد من العيش وخصوبة فى الأرض ، حتى تعيش كدولة تناوئ العرب والإسلام فى أعز دياره ، وتفسد فى البلاد أشد الفساد ، وتـكيد للمسلمين فى أقطارهم ، ويجب على المسلمين أن يحولوا بكل قوة دون تنفيذها، ويقفوا صفا واحدا فى الدفاع عن حوزة الإسلام، وفى إحباط هذه المؤامرات الخبيثة التى من أولها هذه المشروعات الضارة. ومن قصر فى ذلك أو ساعد على تنفيذها أو وقف موقفا سلبيا منها ، فقـد ارتـكب إثمـا عظيما .

وعلى المسلمين أن ينهجوا نهج الرسول صلى الله عليه وسلم، و يقتدوا به ـ وهو القدوة الحسنة ـ فى موقفه من أهل مكة وطغيانهم بعد أن أخرجوه ومعه أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ من ديارهم، وحالوا بينهم و بين أموالهم و إقامة شعائرهم، ودنسوا البيت الحرام بعبادة الأوثان والأصنام ، فقد أمره الله تعالى أن يعد العدة لإنقاذ حرمه من أيدى المعتدين ، وأن يضيق عليهم سبل الحياة التى بها يستظهرون، فأخذ عليه الصلاة والسلام يضيق عليهم فى اقتصادياتهم التى عليها يعتمدون ، حتى نشبت بينه و بينهم الحروب ، واستمرت رحا القتال بين جيش الهدى وجيوش الضلال ، حتى أتم الله عليـه النعمة ، وفتح على يديه مكة ، وقد كانت معقل المشركين ، فأنقذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وطهر بيته الحرام من رجس الأوثان ، وقلم أظافر الشرك والطغيان .

مكتبتنا العربية

وما أشبه الاعتداء بالاعتداء ، مع فارق لابد من رعايته ، وهـو أن مكة كان بلدا مشتركا بين المؤمنين والمشركين ، ووطنا لهم أجمعين ، بخلاف أرض فلسطين ، فانها ملك للمسلمين ، وليس لليهود فيها حكم ولا دولة ، ومع ذلك أبى الله تعالى إلا أن يظهر فى مكة الحق ويخذل الباطل ويردها الى المؤمنين ، ويقمع الشرك فيها والمشركين ، فأمر سبحانه وتعالى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتال المعتدين . فقال تعالى : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » . والله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على رد الاعتداء بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ومن مبادئ الاسلام محاربة كل منكر يضر العباد والبلاد ، وإذا كانت ازالته واجبة فى كل حال ، فهى فى حالة هذ العدوان أوجب وألزم ، فأن هؤلاء المعتدين لم يقف اعتداؤهم عند أخراج المسلمين من ديارهم وسلب أموالهم وتشريدهم فى البلاد ، بل تجاوز ذلك الى أمور تقدسها الأديان السماوية كلها وهى : احترام المساجد وأماكن العبادة .

وقد جاء فى ذلك قوله تعالى : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* * *

أما بعد ـ فهذا هو حكم الاسلام فى قضية فلسطين ، وفى شأن إسرائيل والمناصرين لها من دول الاستعمار وغيرها ، وفيما تريده اسرائيل ومناصروها من مشروعات ترفع من شأنها ، وفى واجب المسلمين حيال ذلك ، تبينه لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، وتهيب بالمسلمين عامة أن يعتصموا بحبل الله المتين ، وأن ينهضوا بما يحقق لهم العزة والكرامة ، وأن يقدروا عواقب الوهن والاستكانة أمام اعتداء الباغين ، وتدبير الكائدين ، وأن يجمعوا أمرهم على القيام بحق الله تعالى وحق الأجيال المقبلة فى ذلك ، اعزازا لدينه القويم .

نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبهم على الإيمان به ، وعلى نصرة دينه ، وعلى العمل بما يرضيه . والله أعلم .

مكتبتنا العربية

الكتب

الجزء الرابع من تفسير الطبرى

بتحقيق وتعليق الأستاذ محمود محمد شاكر — ٦٣٩ ص — دار المعارف

أهدى إلينا فى هـذا الشهر الجزء الرابع من دائرة المعـارف الإسلامية التى أودعها الإمام أبو جعفر الطبرى فى تفسيره جامع البيان ، وفى هذا الجزء جميع المحاسن التى أشرنا إلى وجودها فى الأجزاء الثلاثة المـاضية . وقـد شكا الأستاذ السيد محمود شاكر من أن ناسخ المخطوطة التى يعتمد عليها قد طـال عليه ما نسخ ، فعجل فى نسخ الـكتاب عجلة أدخلت على خطه كثيرا من التصحيف والتحريف والسقط والبياض، وكان الاستاذ محمود يتلافى أمثال هذا الضعف فى المخطوطة بمراجعة ما ينقله الناقلون عن أبى جعفر فى التفاسير التى ألفت بعده ، لـكن نقل هؤلاء عن تفسير الطبرى قد قل فى الجزءين الثـالث والرابع فاعتمد على توفيق الله إلى الصواب فى بيان ما غمض والتبس . وهو ولله الحمـد موفق إلى ذلك بدليل ما نجده فى الـكتاب من آثار التحقيق والعناية والبصيرة النافذة . زد على ذلك ما امتازت به هذه الطبعة من بيان حال بعض رجال أسانيد الآثار وتحقيق الشواهد والتنبيه على النكات اللغوية . أعان الله على إتمـام هذا الـكتاب النفيس .

فى عالم المكفوفين

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى — ٤٠٠ ص — مطبعة نهضة مصر

المـكفوفون — ولا سيما فى مصر — عنصر كريم من عناصر الأمة ، لو قامت له الأمة بمـا له عليها من حقوق لقام لهـا بنصيب عظيم من الواجبات قد ينـوء بها غيره . وإن التعريف بالمـكفوفين ، وإرسال أشعة من النور فى عالمهم حتى يعرفهم المجتمع ، هـو

مكتبتنا العربية

الوسيلة الأولى لتبادل الحقوق والواجبات بين هذا العنصر الكريم والكيان الاجتماعى الذى ينتسب اليه ، وهذا ما فعله فضيلة الأستاذ الشرباصى فى مجهوده الأدبى الجديد الذى بذله فى تأليف كتابه النفيس (فى عالم المكفوفين) ، وعلى كثرة ما ألف الأستاذ الشرباصى من كتب فلعل هذا الكتاب من أدلها على فضله ، وأحفلها بمعارفه وأدبه .

وأول عهد الأستاذ الشرباصى بموضوع المكفوفين محاضراته الأربع التى ألقاها فى دار المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين قبل خمس سنوات ثم سجلها فى كتابه « محاضرات الثلاثاء » فجاءت فى نحو ثلاثين صفحة منه ، وفى العام الماضى دعاه المركز النموذجى لتدريب المكفوفين فى الزيتون إلى إلقاء سلسلة من المحاضرات حول المكفوفين على المبعوثين الذين حضروا من البلاد العربية ليتدربوا على تدريب المكفوفين حتى يكونوا نواة التوسع فى عناية الأمة العربية بشئون هؤلاء المكفوفين ، فتحدث إليهم أحاديث شتى . فكان ذلك البذرة الأولى لبداية البحث والتأليف المنهجى فى عالم المكفوفين .

والآن يقدم الأستاذ الشرباصى للمكتبة العربية كتابه هذا فى ٤٠٠ ص ، افتتحه بالفصل الذى عنوانه « كلنا مكفوفون » وقد نشرته هذه المجلة فى جزء شوال من السنة الماضية ، ثم عقد فصلا بعنوان « المكفوف فى نظر الإسلام » ، وآخر بعنوان « واجبنا الإسلامى نحو المكفوفين » وفصلا عنوانه « من أخلاق المكفوفين » ، و « ذكاء المكفوفين » و « التصوير الحسى والمعنوى فى شعر المكفوفين » و « مواقف فى السيرة للمكفوفين » و « كفيف يرتد بصيرا » و « الشاعر المكفوف أحمد الزين » و « الفكاهة عند المكفوفين » و « أسباب كف البصر » و « عبقرية مكفوفة : أبو العلاء المعرى يستغل مواهبه » و « قصائد فى المكفوفين » و « كفيف يأبى الأبصار بعين مجرم » و « المكفوفون ... هؤلاء الأشقاء » .

والكتاب ـ كما يقول مؤلفه المفضال ـ أول كتاب يظهر بيننا عن عالم المكفوفين وشئونهم المختلفة مع أنه قد ارتاد المجال الذى لم تعتد الأقدام طروقه ، فقد كان المجلى فى حلبته ، فملأ فراغا فى المكتبة العربية يغتبط به كل مثقف وأديب .

أسس الاقتصاد — بين الاسلام والنظم المعاصرة

للأستاذ أبى الأعلى المودودى ـ ١٧٥ ص ـ المطبعة التعاونية فى دمشق

سبق لنا فى صفحة ١٨٦ من السنة الماضية التعريف بكتاب (مبادئ الإسلام)

مكتبتنا العربية

لأبى الأعلى المودودى الذى طبع فى دمشق، وهو حلقة من سلسلة (ذخائر الفكر الإسلامى). وكتاب (أسس الاقتصاد) الذى بين أيدينا الآن حلقة أخرى من هذه السلسلة، وهو دراسة علمية للمذاهب الاقتصادية السائدة فى زماننا تقوم على تتبع النشأة التاريخية لهذه المذاهب والعوامل الكامنة وراءها فى كل طور من أطوارها، وبيان ما فيها من المحاسن والمبادئ بأسلوب نزيه محكم. وفيه أيضا كشف عن حقيقة الداء وعلاج الإسلام له، مع بيان أركان النظام الاقتصادى فى الاسلام وكيف يكفل للشخصية الإنسانية حريتها، ويساعدها على اكتمال نموها الخلق، مع مراعاة مصلحة الجماعة وإرسائها على قواعد راسخة من التنظيم العادل.

والكتاب فى سبعة فصول: أولها فى الفرق الأساسى بين الإسلام والرأسمالية والشيوعية، والثانى فى العوامل والمؤثرات التاريخية وراء النظام الرأسمالى، والثالث فى النظام الرأسمالى الجديد، والرابع فى الاشتراكية والشيوعية، والخامس فى رد الفعل، والسادس فى تشخيص الداء وعلاجه، والسابع فى نظام الإسلام الاقتصادى وأركانه. وكان السيد المودودى قد كتب الفصلين الأول والسابع قبل الحرب العالمية الثانية بسنتين عندما كان مقيما فى حيدر أباد الدكن ردا على من دعا الى ادخال تعديل فى الاسلام على أحكام الربا توطئة لقبول المسلمين النظام الرأسمالى بدعوى أنه ضرورة عصرية. ثم كتب الفصول الخمسة الأخرى بعد الحرب الثانية مدة حبسه الأول، ونشرها بعد اطلاق سراحه فى مجلته (ترجمان القرآن).

وقد نقل الكتاب إلى العربية الأستاذ محمد عاصم الحداد معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية فى باكستان. وطبع فى دمشق طبعا أنيقا يليق بموضوعه الجليل.

مبادئ الاسلام وهندسة الاجتماع

للأستاذ المهندس فتحى محمد فراج — ١٩٠ ص — مطبعة مصر بشبين الكوم

الأستاذ المؤلف مهندس قائم بأعمال مشرعات الرى فى الزقازيق، وإن نزعته الإسلامية قد وسعت دائرة الأفق لبحوثه الإسلامية فى شئون الاقتصاد، والتفكير بالأساليب الإسلامية لإصلاح المجتمع. وفى داخل هذا الأفق كتب كتابه هذا، فأصدر

مكتبتنا العربية

الجزء الأول منه ، وتكلم فيه على حساب الرزق، ومن رأيه أن الأرزاق عينية لا نقدية ، فاستعرض آراء مفكرى الغرب فى ملكية الأرض وقارنها بملكية الأرض فى الإسلام ، وعقد فصلا لنظرية الرزق فى الإسلام ، وإطلاق الأرزاق ، وتنمية الدخل القومى ، وأن الأجر أصل الثمن . وتكلم على الموظفين ومرتباتهم ، وعلى الكسب المشروع ووجوب ثبات الاسعار ، وتأثير المساواة فى الرخاء والأمن والأخلاق وبقاء الأصلح . وإذا اتسع لنا المجال سننشر خلاصة لآراء المؤلف وبحثه الاقتصادى من الناحية الإسلامية .

نسمات الاصيل فى المذياع

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد الدهان — ٨٠ ص — مطبعة الفجالة الجديدة

هى أحاديث إسلامية أذيعت من (صوت زنجبار) قبل سنتين ، وتكلمنا على الرسالة الأولى منها فى ص ٧٠٩ من السنة الماضية . ثم أهديت إلينا الآن الرسالة الثانية بالعربية وترجمتها باللغة السواحلية ، وفيها عشرة أحاديث عن القرآن ، وأن فى أولى آياته وضعت سعادة العالم ، وعن خصال الخير الجامعة ، والإسلام والحوار ، وأدب القارئ والمستمع ، والإيثار ، وأفضل الأعمال . . . إلى غير ذلك من الأحاديث التى ألقاها الأستاذ المؤلف من مذياع زنجبار عند ما كان مبعوثا من الأزهر إلى تلك الديار ، وكان لها الأثر النافع فى ذلك المحيط الإسلامى النائى .

توجيه الانظار ، لتوحيد المسلمين فى الصوم والافطار

لفضيلة الشيخ أحمد بن الصديق — ١٢٠ ص — مطبعة العهد الجديد بالقاهرة

هو كتاب يدل عليه عنوانه ، وقد ألفه فضيلة الأستاذ مؤلفه ليبين لمواطنيه المغاربة خطأهم فى عدم اعتمادهم على ثبوت شهر الصيام فى الأقطار الإسلامية بواسطة المذياع بزعم أنهم لا تلزمهم رؤية غيرهم من أهل البلاد الإسلامية ولو القريبة منهم والمجاورة لهم . وقد استوفى الأدلة الحديثية والفقهية على وجوب اتحادهم مع المسلمين أو مع من ثبتت عندهم رؤية الهلال من أهل أى قطر من الأقطار ، والكتاب حافل بالأدلة والنصوص كدأب المؤلف فى سائر مؤلفاته .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

تاريخ العرب لم يدرس بعد

فى الدورة السنوية لمؤتمر « الاتحاد التاريخى » خطب السر هملتون جب المؤرخ البريطانى المعروف ببحوثه فى تاريخ العرب فقال : إن المؤرخين الغربيين هواة فقط فى هذه الناحية وليسوا علماء ، ووصف نفسه أنه هاو أيضا وليس عالما . والمشكلة الرئيسية هى العثور على مؤرخين مؤهلين يستطيعون دراسة الوثائق والمراجع التاريخية دراسة مستمرة مركزة ، وأنه يخجل من « الترقيع » الذى تتصف به بحوث المؤرخين الغربيين فى ميادين كثيرة من تاريخ العرب .

صحافتنا

بين الخبر ، والتوجيه

خطب وزير الإرشاد فى قسم الصحافة بكلية الآداب فى جامعة القاهرة فتحدث عن صحافة الرأى وصحافة الخبر ، ومما قاله : هناك فكرة سائدة مؤداها أن العالم يعيش الآن فى عهد صحافة الخبر ، وأن صحافة الرأى قد انتهت . وإذا سلمنا جدلا بانطباق هذه الفكرة ، فعلينا أن نتساءل : هل هذا يعتبر تقدما فى الصحافة ، أم يعتبر عيبا يجب أن يعالج ؟ الواقع أن ميل الإنسان الى معرفة الأخبار ميل غريزى ، وهذا الميل يعتبر فضيلة . ولكنه إذا تجاوز قدرا معينا أصبح رذيلة ، إذ يتحول إلى فضول وتطفل . والإنسان عادة لا يكون فضوليا إلا إذا كان غير مقتنع بحياته ، أو مستكف بذاته ، فيكون دائما فى حاجة الى مزيد من الخارج يأتيه من غير نفسه ، لأن نفسه خاوية فارغة من أى معنى .

طلبة الجامعات المصرية

بلغ مجموع طلبة الجامعات المصرية الثلاث ـ نظاميين ومنتسبين ـ حسب آخر إحصاء رسمى ٥٦ ألفا و ١٨٠ طالبا وطالبة .

منهم فى جامعة القاهرة ٣٣ ألفا و ٧١٥ طالبا ، و ٢٧٩٩ طالبة .

وفى جامعة عين شمس ١٦ ألفا و ٥٠٣ طلاب ، و ٢٠٨١ طالبة .

وفى جامعة الإسكندرية ١٠ آلاف و٢٢٦ طالبا ، و ٨٥٦ طالبة .

مكتبتنا العربية

نظرة الصحافة

ضعوا لهذا حدا . .

كتب الأستاذ جلال الدين الحمامصى فى (الجمهورية) يقول :

استمعت إلى حديث بين سيدة من سيدات مصر المثقفات وأحد الزملاء الصحفيين ، كانت السيدة توجه إلى الصحفى نقدا مرا لما يكتبه فى مجلته ، كانت تمسك الوقائع واحدة بعد الأخرى وتقدمها له من واقع ما يكتب فى مجلته . واندفع الزميل يرد ، ويدافع عن نفسه وعن زملائه الذين يشتركون معه فى تحرير المجلة .

والسيدة التى أثارت هذا الموضوع لا يمكن أن توصف بأنها من سيدات القرن الماضى أو أنها تدعو إلى الرجعية . لكنها ـ مع هذا ـ كانت ترى أن الدعوة إلى (الاباحية) أو الكتابة فيها بحرية كاملة ، أو قلب الأوضاع فتجعل المرأة فى مكان الرجل . . كل هذا يجب ألا يسمح بنشره فى الصحف ، وألا يشجع على أن يكون الأساس فى حياتنا القائمة .

ثم قال الأستاذ جلال الدين الحمامصى : إن الذى يحدث الآن فى مصر من دعوات إباحية لا يحدث فى أى بلد من بلاد العالم . فنحن هنا لا نقلد ، وإنما نبتكر . . ونستند فى هذا الابتكار إلى حجج : منها الادعاء بأنها دعوة إلى تحرير المرأة المصرية . . ونحمد الله على أن فى مقدمة الثائرين على هذا الكلام الذى يكتب ، المرأة نفسها ، المرأة المثقفة وليست الجاهلة . إننا نظلم المرأة المصرية عند ما نلصق بها كل اتجاه خاطئ ، فالمرأة المصرية بخير مادامت بعيدة عن «التحريض» المستمر ، التحريض الذى يصور لها الحياة فى أوضاع مقلوبة ، وفى صور لا نرضاها لأحد . . .

الفن الأموى

أعلن متحف فريير للفنون فى أمريكا أن المحاضرة الأولى من المحاضرات الأربع المصورة التى ستلقى فى شتاء عام ١٩٥٦ وربيعه ستكون تحت عنوان « الفن الأموى ـ فن امبراطورى » ، وسيلقى الدكتور أوليج جرابار رئيس قسم الفن الإسلامى بجامعة مشجان هذه المحاضرة يوم ١٧ يناير .

وقد تتبع الدكتور جرابار الفن الإسلامى فى مصدر من مصادره ، وهو ما حققه الأمويون فيه ، وذلك على ضوء المكتشفات الأثرية الحديثة التى اشترك فى بعضها الدكتور جرابار نفسه .

ويضم متحف فريير مجموعات فنية فريدة بعضها من مصر ، وبعضها من الهند أو إيران أو العراق أو سوريا أو آسيا الصغرى أو بيزنطة . كما يضم مكتبة من أثمن المكتبات فى العالم مخصصة كلها لفنون الشرقين الأوسط والأقصى .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

تمويل السد العالى

من أهم أنباء الشهر المنصرم موافقة البنك الدولى للانشاء والتعمير على إعطاء مصر قرضا بحوالى مائتى مليون دولار لتمويل السد العالى، وموافقة الحكومة الامريكية على إقراض مصر مائتى مليون دولار أيضا لهذا الغرض. وقد أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الحكومتين الأمريكية والبريطانية قد وافقتا على تقديم مساعدات مالية أخرى لمصر لتمكينها من الانفاق على تحقيق هذا المشروع فى مراحله الأخرى . وبلغ مجموع منحتى بريطانيا وأمريكا ٧٠ مليون دولار تسلم بمعدل ١٥ إلى ٢٠ مليون دولار سنويا .

واتفقت شركة قنال السويس على توظيف بعض احتياطيها فى استثمارات طويلة الأجل كمشروع السد العالى ، وحولت نورا ثلاثة ملايين جنيه من العملات الأجنبية إلى مصر لهذا الغرض .

وتقدر تكاليف مشروع السد العالى بمبلغ ٩٦٠ مليون دولار ، وينتظر أن يؤتى المشروع ثماره خلال تنفيذه فى الفترة الأولى باستصلاح مليون و٢٠٠ ألف فدان .

البترول المصرى

لا تزال حركة الكشف عن البترول المصرى فى نشاط ، وقد كشف أخيرا فى المنطقة الجنوبية من حقل (بلاعيم) عن بئر جديدة يبلغ امتداد منبعها ستة كيلو مترات وعرضها نحو خمسة كيلو مترات ، ويقال إنها أغنى بئر بترولية كشف عنها حتى الآن. وهذه المنطقة واقعة فى نطاق نشاط الجمعية التعاونية للبترول .

استقلال السودان

انتهت مهمة آخر حاكم بريطانى للسودان. وأعلن البرلمان السودانى استقلال هذا القطر العربى الشقيق . واجتمع فى أواخر ديسمبر الماضى مستر موری الوزير المفوض فى السفارة البريطانية والأمير الاى عبد الفتاح حسن نائب وزير الدولة لشئون السودان ، وتم الاتفاق بينهما على جميع الخطوات التى تتفق وصالح السودان ، كما اتفقا على صيغة اعتراف دولتى الحكم الثنائى بالاستقلال . وسافر الأمير الاى عبد الفتاح حسن إلى الخرطوم مندوبا عن الحكومة المصرية لتسليم وثيقة

مكتبتنا العربية

اعتراف مصر باستقلال السودان وحضور الاحتفال الرسمى بهذا الحادث القومى فى حياة الأمة العربية .

ويقول مصدر رسمى فى وزارة الدولة لشئون السودان بالقاهرة : إن تنظيم الروابط بين مصر والسودان بعد إعلان الاستقلال متروك أمره إلى السودانيين يقررونه حسب ما يتفق مع الصالح العام للدولتين ، ولاشك أن التعاون الوثيق كان ولا يزال موجودا بين البلدين .

مصر تنذر اسرائيل

أرسل الرئيس جمال عبد الناصر رسالة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة قال فيها : إن اسرائيل — التى لا زالت حتى الآن تتبع سياسة العدوان المدبر ضد مصر — قد تمادت فى هذا العدوان حتى حدود الدول العربية الأخرى ، وأن حادث العدوان الأخير على القوات السورية يعتبر اعتداء على مصر ، وقد صبرت مصر على العدوان الإسرائيلى لتبين للعالم أنها لم تتبع سياسة عدوانية . أما وقد اتخذت هذه الاعتداءات صفة الاستمرار التى جاوزت القوات العسكرية إلى الاعتداء على المدنيين بصورة وحشية ، فأن مصر ترى نفسها فى وضع يضطرها إلى معالجة الأمور بالمثل ، وهى لن تتوانى فى استعمال قواتها البرية أو الجوية أو البحرية لتحافظ على سلامتها ، ولإقرار السلام فى المنطقة بعد أن عجز مجلس الأمن فى منع تكرار هذه الحوادث . فأرجو أن تبلغوا رسالتى هذه إلى الدول فى مجلس الأمن ليكونوا على بينة من موقفنا

وقال الرئيس جمال عبد الناصر فى تصريح للأهرام : لقد أصبح من الواضح أنه لاجدوى من سياسة السلام ، حيث لا يمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد ، بينما يتمادى الجانب الآخر بالعدوان .

عبث الاستعمار فى الأردن

وما أعقبه من الانفجار

ندبت السلطات الاستعمارية الجنرال تمبلر رئيس هيئة أركان حرب الأمبراطورية البريطانية للحضور إلى الأردن لحمل حكومتها على الانضمام إلى ميثاق بغداد ، فاستعمل جميع أنواع الضغط بمعاونة الجنرال جلوب وأذنابه المحليين ، فاستقالت وزارة سعيد المفتى وجىء بهزاع المجالى رئيسا للوزارة الأردنية ليحقق الغرض الذى حضر الجنرال تمبلر لأجله ، فثارت البلاد عن بكرة أبيها ، ولا سيما القسم الواقع غربى الأردن ، فاضطر هزاع المجالى وأعضاء وزارته إلى الفرار إلى بيروت ، ومنها إلى بغداد ، ودعى السيد ابراهيم هاشم رئيس مجلس الأعيان لتأليف الوزارة . ثم اضطرت وزارة ابراهيم هاشم إلى الاستقالة فتجددت الاضطرابات ، وأخيرا ألفت وزارة جديدة برياسة سمير الرفاعى واختير ابراهيم هاشم نائبا له ووزيرا للدولة .

مكتبتنا العربية

وأصدرت الوزارة الجديدة بيانا ضمنته أن سياستها تقوم على عدم الانضمام إلى أية أحلاف أو الارتباط بها ، وعلى العمل لتحقيق وحدة العرب وحفظ حقوقهم كاملة فى فلسطين . وهذا بجانب تأمين الحريات العامة ، وإعادة الحالة فى البلاد إلى مجراها .

عيد العلم

شهدت القاهرة فى الشهر الماضى أول عيد للعلم كرم فيه وزير التربية والتعليم ـ باسم مصر الثائرة وقادتها ـ النبوغ والتفوق والامتياز فى البحث العلمى العميق فى شخص اثنين من أساتذة الجامعة ، كما كرم الدرس والتحصيل والاطلاع فى أشخاص عشرات ومئات من الطلبة والطالبات والتلاميذ والتلميذات الذين سبقوا أقرانهم فيما تقدموا إليه من مسابقات فى العلم أو الفن أو القراءة ، فكان ذلك دلالة على أن مصر لم تعد تكتفى من أبنائها بأن يتعلموا وحسب ، بل هى تطلب إليهم وتدفعهم وتشجعهم على أن يكون تعلمهم للعلم ، وللتعمق فيه ، والانقطاع له ، ليكونوا مرجعا لوطنهم فى المواد التى تفرغوا لها . ويحاولون التخصص فيها والإلمام بكل ما يتعلق بها من خفايا المعرفة . وهى سنة استنها هذا العهد النشيط للتقدم بالبلاد خطوات إلى الأمام فى سبيل التعمق العلمى والتفوق فيه .

تعزيز الجيش السورى وتسليحه

قرر مجلس الوزراء السورى اعتماد ١٢٠ مليون ليرة سورية . وتخصيص القرض السعودى ـ وقدره عشرة ملايين دولار ـ لتعزيز الجيش وتسليحه . كما قرر تطبيق نظام الفتوة وتدريب الطلبة عسكريا ، وإعداد الخنادق والأقبية للوقاية من الغارات الجوية .

فى الجزائر

أصيبت الإدارة الفرنسية فى الجزائر بشلل خطير ، فقد استقال معظم موظفى الحكومة من الجزائريين استجابة لدعوة الوطنيين ، وأبدى الأعضاء الجزائريون فى الجمعية الوطنية المحلية تأييدهم المطلق لهذه الحركة تأييدا أدهش المقيم الفرنسى العام فى الجزائر وأذهله .

وقد تحدث زعماء جبهة التحرير الوطنية فى الجزائر إلى الزعماء الاشتراكيين فى فرنسا فأكدوا لهم أن استقرار السلام فى الجزائر لن يتم إلا على أساس الاستجابة لمطالب الجزائريين واعتراف فرنسا بحق الشعب الجزائرى فى الحرية والاستقلال ، وتحدث أحد الزعماء الجزائريين فى باريس . فقال : إننا لا نحارب من أجل إنشاء مدارس ومستشفيات أو إصلاح زراعى ، ولكننا نكافح لأجل الفوز بحقنا فى أن نعيش أحرارا .

مكتبتنا العربية

الفهـرس

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
٥٨٥	التعليم فى مصر موصل ردىء لروح الثورة .	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٥٩١	نفحات القرآن : امساك البخيل وانفاق المرائى	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٥٩٥	السنة : خاتم النبيين ـ ٣ ـ	« طه محمد الساكت . . . . .
٦٠٠	الاستعمار ، والاستعمار الثقافى	« محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين . .
٦٠٩	الأدب العربى فى أمريكا	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٦١٤	المرأة المثالية	« عباس طه الحامى . . . . .
٦١٧	ابدءوا بأنفسكم	« زكريا البرى سكرتير التحرير . .
٦٢٠	الجامع الأزهر	الدكتور عباس فتحى الهلالى
٦٢٤	ابراهيم والوحدانية	« محمد سماد جلال . . . . .
٦٢٧	خصائص الأدب معناها وإقليميتها . . .	الأستاذ محمود رزق سليم أستاذ الأدب فى كلية اللغة
٦٣٢	ماذا يراد بالاسلام ؟	« على العمارى . . . . .
٦٣٦	الحديث عن السيرة	« أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر . .
٦٤٠	لغويات	« محمد على النجار . . . . .
٦٤٤	مثل النبى صلى الله عليه وسلم ومثل أمته .	« محمود فرج العقدة . . . . .
٦٤٩	بنو إسرائيل فى الماضى والحاضر . . .	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٦٥٤	يأمرون بالدين . . . والله غالب على أمره .	« محمد عبد التواب المفتش العام للوعظ
٦٥٧	الشيخ الصعيدى	« محمود النواوى . . . . .
٦٦١	ملكة المراقبة بين الفرد والمجتمع . . .	« معوض عوض ابراهيم الواعظ العام
٦٦٥	الاله والوجوديون	« محمد الطنيخى عضو جماعة كبار العلماء
٦٦٩	الفتوح الاسلامية الكبرى	« محمود محمد زيادة المدرس بكلية اللغة العربية
٦٧٣	الأزهر والثورة	« الداعى التناوى المراقب بكلية الشريعة
٦٧٥	موقف الثورة من الأزهر	« عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش .
٦٧٧	كلية علمية خاصة للبنات	« « « « « «
٦٨٠	ما هو الهدف ؟	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٦٨١	رسالة الأزهر الشريف اليوم	. . . . .
٦٨٢	الفتاوى : الصلح مع إسرائيل	لجنة الفتوى . . . . .
٦٨٧	الكتب	(المجلة) . . . . .
٦٩١	الأدب والعلوم	(المجلة) . . . . .
٦٩٣	أنباء العالم الاسلامى	(«) . . . . .